

'IZZ AL-DIN

DAWUD BASHA WA-NIHAYAT AL-
MAMALIK

DS
97
.6
.D3
.I9
c.1



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL		
Bobst Library FEB 26 1998 CIRCULATION MAR 7 1998	Bobst Library MAY 13 1998 CIRCULATION JUN 18 1998	
	Bobst Library APR 17 1998 CIRCULATION JUN 18 1998	

تأويل باشنا

ونهاية الممالك في العراق

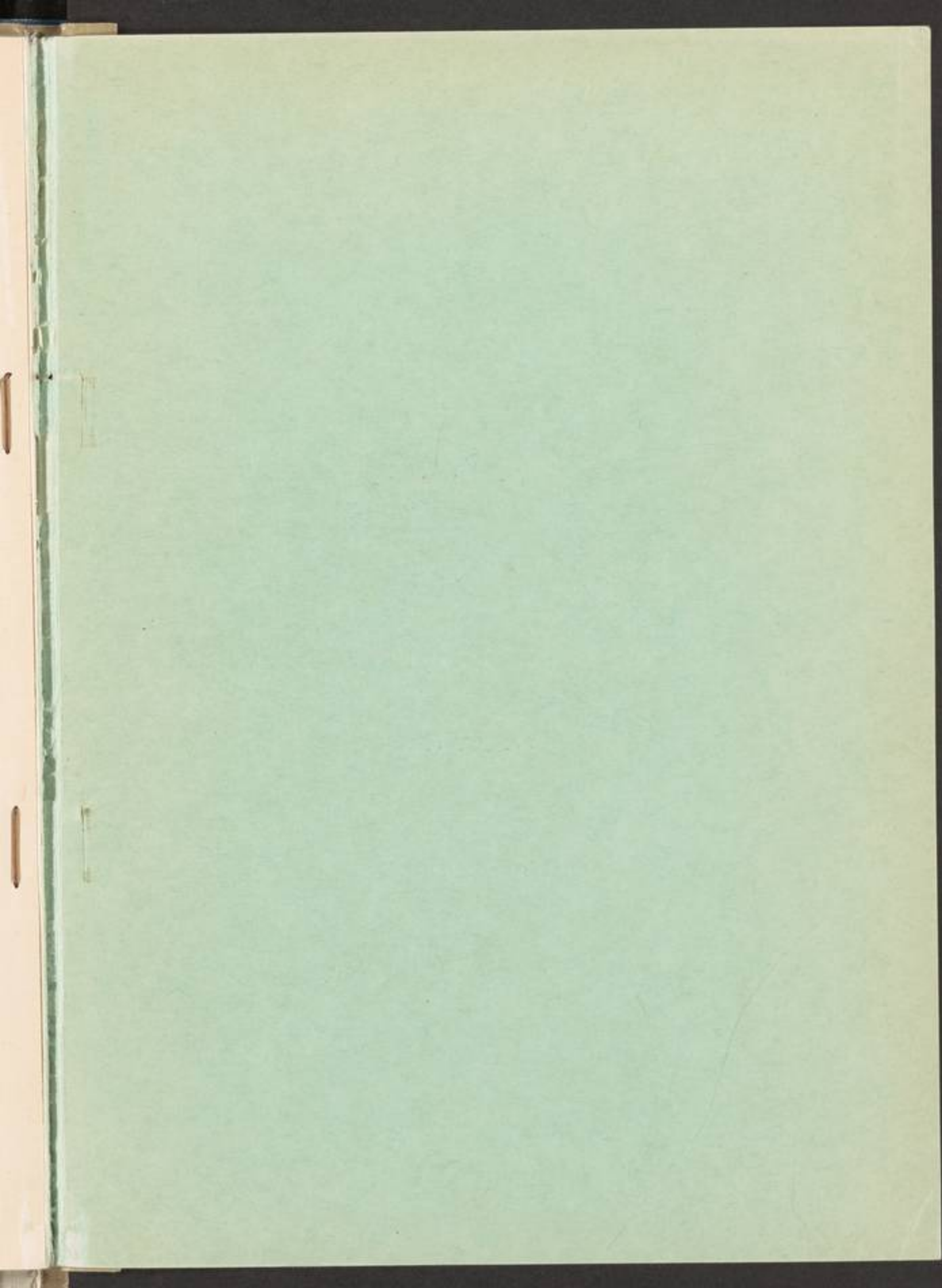
الدكتور يوسف عز الدين

استاذ الأدب الحديث
كلية الآداب جامعة بغداد

مفحورات دار البصري

١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م

مكتبة يوسف الإلكترونية
لنشر وترويج الكتب pdf
يوسف الرميض



'Izz al-Dīn, Yūsuf

/Dawūd Basha wa-nihāyat al-Mamālik/

دَاوُدُ بَاشَا
وَنَهَايَةُ الْمَمَالِكِ فِي الْعِرَاقِ

الدكتور يوسف عز الدين

استاذ الأدب الحديث
كلية الآداب جامعة بغداد

N. Y. U. LIBRARIES

مفشورات دار البصرى

١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م

Near East

DS

97

.6

.D3

.I9

c-1

الى الصديقين علي البصري و مهدي القزاز
كلتمه وفاء قبلت عنهما سكنت عنهما الاصرقاء

كلمة الناشر

عرفت الدكتور يوسف عز الدين قبل خمس عشرة سنة .
وما ان تعارفنا حتى تألفنا واخذت صداقتنا تتوثق بمرور الأيام
وتتوطد مع السنين .

ورأيت فيه عصامية وثابة جارفة تدفعه الى الأستزادة من
العلوم والمعارف والآداب حتى نال الدكتوراه وعاد الى العراق
وبدأ نجمه في التألق والسطوع وكلما ترقى في مدارج العمل والعلم
ازداد ديمقراطية وتواضعاً في السلوك ورقة الشئائل ورفعة في الخلق .
وقد احببته لصراحته ولوضوحه ولسجاياه الحميدة . واعتقد
جازماً ان ليس هناك من يجالسه مرة واحدة الا ويتعلق به اعجاباً ،
ويصبح من مريديه واصدقائه حباً وتقديراً .

وقبل مدة رأيت له بحثاً طريفاً نشر في مجلتي (كلية الآداب)
و (الاستاذ) عن فترة من تاريخ العراق المجهول لدى الكثير من
الناس ، يدور حول الوالي المشهور داود باشا وحكم المماليك . وقد

لعب داود دوراً هاماً في التاريخ العثماني وعلى صعيد العراق وأراد
أن يقلد محمد علي باشا في إنشاء دولة كبيرة لو اقيمت لكان لتاريخ
العراق شأن آخر هذا اليوم ولما كان البحث له من الطرافة العلمية
والقيمة التاريخية الكبيرة ، رجوت الدكتور يوسف عز الدين ان
يسمح لي بنشره باقة واحدة واخراجه للناس كي يتمكن طلاب
البحوث التاريخية والأبوية من اقتنائه والاستفادة منه .

وقد سمح لي الاخ الدكتور يوسف مشكوراً بتنفيذ
ما اقدمت عليه دون ان يطالبني بشيء جزاء على اتعابه شأن بعض
الكتاب الذين لا يخطون خطأ او يكتبون كلمة بدون مقابل .
ويسعدني ان اضع هذا البحث بين ايدي القراء مساهمة مني في
اداء الواجب في بعث التراث التاريخي في العراق خدمة للفكر
العربي والله من وراء القصد .

الناشر

على البصري

ادارة ولايت بغداد في القرن التاسع عشر

١ - الوالي

كان العراق جزءاً من الأمبراطورية العثمانية المترامية
الاطراف والتي كانت قد قسمت الى عدة ولايات يحكم كلا منها
والي يعين من الأستانة بفرمان يصدره السلطان .

وقد كان أكثرية الولاة مطلقي التصرف بادارة شؤون
الولايات فالوالي هو الرأس الأعلى للولاية يديرها حسب رأيه ،
ويهيمن على كل قضاياها وله صلاحيات داخل حدود الولاية تكاد
لا تتحد فهو يأمر بالسجن والموت ويسوق الجيوش لأخذ الثأرين .
فاذا كان الوالي صالحاً — وما أقل الصالح — صلحت البلاد وان
وان كان فاسداً — وهو الأكثر — انتشر الفساد والفوضى
والاضطراب . ولم يكن الوالي يستشير الأستانة إلا في أخطر
الامور .

وقد تمتد ولاية العراق — أو بغداد — من البصرة حتى الجزيرة وقد تصغر فتشمل بغداد وحدها .

وقد كان تفسخ ولاية العراق جزءاً من تفسخ عام شمل الامبراطورية العثمانية حتى غدت الولايات تباع كما تباع وظائف الدولة الاخرى . كان بعض المشايخ يتوسطون في اتمام شراء أي منصب حكومي وتعتبر المتاجرة بالمناصب الحكومية تجارة رابحة فقد حدثنا الآلوسي عما شاهده من المشايخ عندما كان في استانبول بقوله : ولقد رأيت معظم مشايخ اسلامبول يبيعون المنصب للمعزول ، يأتون اليه فيقولون : هل لك أن تعطينا كذا مقداراً من ذهبك ، فنعيدك بالهمة القلبية الى ما كنت فيه من ذاهب منصبك (١) .

ومن الطبيعي ان تعرض ولاية بغداد في سوق المتاجرة فقد جاء في غرائب الاغتراب (واتفق ان كتب بعض الاشهاد على بيع بعض المشايخ لبعض الناس وزارة بغداد ...) (٢) فاذا اشترى الوالي منصباً فلا بد أن يعيد امواله التي اشترى بها هذه الولاية

(١) غرائب الاغتراب ص ١٨٨ ومراجعة خلاصة تاريخ العراق للمكرملي ٢٠٦

(٢) غرائب الاغتراب ص ١٨٩ .

فلا يجد لنفسه متسعاً من الوقت سوى جمع الاموال بكل الطرق
الممكنة مشروعة - وما أفلها - وغير مشروعة . ثم يجب أن
يكون من أصحاب الغنى لكي يحتاط للمستقبل اذا ما عزل من
الولاية ليشتري منصباً آخر يدر عليه الربح ويمنحه عز السلطان
وجاه الحكم والسطوة .

فهو يستوفي الضرائب وفتحصب الاموال من القبائل
والمدن على حد سواء بل ان أحد الولاة الاتراك أخذ يتباهى بان
ميزانية ولايته ليس فيها صفحة للمصروفات لانها - أي الميزانية -
كانت تقتصر على الواردات فقط (١) .

وكان على الوالي ان يحافظ على منصبه مادام فيه بان يجدد
الهدايا على صورة من الصور ، للصدر الأعظم المنتظر للهدايا من
الولاة . وأكثرية الولاة يقدمون الهدايا عن طيب خاطر تجنباً
من وساطة الوسطاء عندما يعزل فقد (ارسل والي بغداد الى
الوزير الاعظم يوسف باشا هدية سنوية نحو خمسمائة كيس نقود

(١) Iraq A Study In Political Development .by P.W.
Ireland, London 1937, P . 79

اقرأ الحاشية

ولاحظ من اول ص ٧٩

وجواهر وأمتعة (١).

ومن الطبيعي أن يساوم الوالي بدوره على المناصب التابعة لولايته لكي يستغل الآخرين كما استغل وليستعيض عن هداياه وهباته وهكذا . وعلى أبناء العراق يقبع الغرم دائماً فقد حدثنا ياسين العمري عن مطالب والي بغداد عندما قتل والي الموصل احمد باشا وقد تسلم البلدة الامير اسعد فيما اذا لم تسلم ولاية الموصل له فكان طلبه أن يعطى اربعمائة كيس من النقود وقد رضى أسعد بك بذلك وارسل اليه مائتي (٢) كيس ولما كان أسعد بك لا يملك هذا المبلغ جمعه من تجار البلد ثم تعهد له بمثلها اذا ولى الموصل فما كان من الوالي الا أن تعهد له بذلك (٣) .

ولما كانت عملية البيع والشراء قد اخضعت لسوقها اكثر المناصب المهمة في الدولة فليس غريباً ان تتفشى الرشوة اذ ليس من المعقول أن يعيش الموظفون في طهارة الملائكة وعفة الانبياء

(١) غاية المرام حوادث ١٨٠٠م [١٢١٤ هـ] وغرائب الاثر ص ٥١ .
(٢) كان كيس الفضة في أحسن أوقاته يساوي خمسمائة قرش ، وكيس الذهب عشرة آلاف قرش وكان محتواهما يختلف باختلاف الزمان وزاد البعانة يعقوب سر كيس فقال يحوي الكيس ٥٠٠ وحدة من النقود الدارجة وهنا هذه النقود هي من القروش القديمة .
(٣) غرائب الاثر ص ٩٤ .

وهام اولاء يرون أسيادهم يرتعون في بجوحة من المال الوفير
 ويفرقون حتى الاذقان في ابتزاز الاموال واغتصاب الناس ممتلكاتهم
 ويرونهم يبيعون المناصب ويشترونها . فليس امامهم الا عرقة مصالح
 المساكين من الناس الذين يحتاجون الدولة في أمر من أمورهم .
 فيضمعون امامهم مختلف الصعوبات ومتنوع المراقيل لكي يظفروا
 ببعض المال الذي ينقحهم به المراجعون فقد شك الآلوسي مر
 الشكوى من الموظفين بقوله (١) . . . ومعظم كتاب المالية ،
 والاوقاف ، ليس في روى قلوبهم قطرة من مداد الانصاف ، كم
 طوى أحدهم قرطاس كشحه عن ذي الحاجة وأهمله ، وخيرهم من
 اذا عد الماهوف دراهماً (كذا) نظر في شأنه وعدله ، وصحائف
 أعمالهم والله تعالى أعلم من قلوبهم سواد ، وكأنك بسواد وجوههم
 يوم نشر الصحف غدا لسواد وجوههم المظلمة مداد . . .

فلا عجب ان غدت الوظيفة تجارة وطريقاً للرزق إذ كانت
 سبيلاً للاميش الرغيد والاثراء . وكانت الوظائف تعطى بالنسبة
 للقيمة الفردية للشخص ومقدار ما يحتاجه فاذا لم تكفه كان يستبدل

(١) غرائب الاغتراب ص ١٩٩ .

بها غيرها لكي تسد نفقاته كأحدى الضياع فقد قال عثمان بن سند
متحدثاً عن حسن باشا والي بغداد السابق فقد جاء يشكو والي
بغداد — قادمًا من ديار بكر — سوء حالته الاقتصادية فما كان من
والي بغداد إلا أن أعطاه بلدة البندنج (١) يستغلها غير أنه أخبر
الوزير أنها لا تكفي لمصاريفه فولاه متسامية (٢) كر كوك (٣).
وقد يعزل والي والياً لا يرتاح إليه متى دفع مبلغاً من المال
للاستانة ففي عام ١٢١٠ هـ. أرسل والي بغداد الوزير سليمان إلى الدولة
هدية قيمتها ثمانماية كيس نقود وجواهر وأمثال ذلك ، وطلب
عزل والي اورفه ... (٤) فلبت الجهات المختصة الطاب وتناست
خدمات والي اورفه لها لكي ترضي والي بغداد الذي قدم لها
المال . ولم تكف بذلك إنما امتعت في اذلال هذا والي — لانه
لم يتمكن أن يفقد نفسه — فرفعت عنه الرتبة ثم سجنته في
قلعة ساقز (١) .

-
- (١) مدينة مندلي اليوم .
(٢) المتسلم هو نائب والي أو نائب باشا بصفة الفاعل أو الوكيل وأسم الوظيفة متسدية .
(٣) مختصر مطالع السعود ص ٣٣ و ٣٤ .
(٤) غرائب الاثر ص ٣٨ .
(٥) المصدر السابق . ساقز : قال عنها يعقوب سر كيس انها جزيرة في البحر الابيض
المتوسط اتخذت مراراً مركزاً لولاية جزائر بحر سفيد ولعلها مركبوس خاصة صقلية .

لا أدري كيف يأمن الموظف على وظيفته وهما هي الدولة
تسجن والياً من ولايتها، بل كيف يأمن على نفسه، وعلى منزلته،
والدولة نفسها ترسل من يفاوض الولاة للحصول على مزيد من
المال أو كان العزل نصيبه فتقدم حدثنا الخطيب الشهرباني ذا كراً
وصول مندوب الاستانة حالت افندي (١) الى بغداد وكان
مرخصاً بالتغيير والتبديل فارسل يطلب كاتب الديوان لكي يحدث
الوالي الوزير سليمان القليل وأراد... [ان يخدم الدولة العلية
بمقدار كم الف كيس ..] وأخبره أن يتوسط في اعادته الى الوزارة
ويشفع هذا بتهديد على شكل نصيح بتلبية الامر (٢).

فمن أين يأتي الوالي الوزير بالمال !!

لابد انه سيتجبه نحو الرعية يمتص آخر قطرة من دمائها،
متخذاً كل اسلوب ممكن. فإذا ثارت عشيرة من العشائر لظلم لحق
بها أو اهانة اصابها اتخذ الوالي عملها فرصة وساق جديشه ولا يعود
الا بعد فرض اتاوة جديدة يجب أن تؤديها تلك العشيرة... فقد

(١) لاحظ ما كتبه يعقوب سر كيس في مباحث عراقية ج ٢ ص ٣٩٥ وتذكرة
الشعراء ص ٣٥.

(٢) غاية المرام ص ٢٤٦.

جاء في غاية المرام في أثناء الحديث عن عشيرة البلباص (١) الشائرة
ان افراد العشيرة لما سمعوا بقدوم الوالي (خافوا وبذلوا الطاعة
فأخذ منهم مصالحة ثمانية الف رأس غنم وأحد عشر ألفاً من البقر
وعفا عنهم) (٢) .

أما العشائر التي لا يستطيع الاستيلاء عليها ، يقهرها حرياً
عند هروبها الى الجبال ، فلا يجد امامه الا تخريب بيوتها وقطع
أشجارها (٣) وعندما يتصالح الوالي مع القبائل فهو يتصالح معها
على مبالغ معينة من المال فان لم تتمكن من دفع المال المطلوب فما عليها
الا أن تدفع من أغنامها فدية فقد صولح الخزاعل على ٥٠٠ (٤)
طنفار من الشلب ومائتي كيس من المال (٥) .

ان السيطرة المطلقة والنفوذ الواسع على امور الولاية وبعد
الولاية عن مركز الدولة وتأخر وسائل المواصلات يضاف اليه
الفساد الذي أخذ يدب في جسم الدولة العثمانية الواهن — والتي

(١) عشيرة البلباص إحدى العشائر الكردية .

(٢) غاية المرام ص ٢٤٦ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الطنفار ما يعادل مئة وزنة والوزنة مئة كيلو .

(٥) غاية المرام ص ٢١٧ .

كانت الدول آنذاك تحاول تقوية المعاهدات ، امور شجعت الولاية
على التفكير الجدي بالاستقلال عن الدولة ولعل صلاحيتهم في
تشكيل الجيش كانت عاملاً مهماً في الانتفاض . كما انتفض سليمان
القتيل سنة ١٨١٠ ودواد باشا سنة ١٨٣٠ (١) .

وقد كان السلطان في شاغل عن امور الولاية حتى أن العجم
استولوا على البصرة ولم يعرف نبأ هذا الاستيلاء الا بعد مضي
اربع سنين (٢) وإذا ما أراد السلطان أن يرسل جيشاً لقمع بعض
هذه الثورات فقد كان القواد ينصرفون الى امورهم الخاصة في
الحمر واللو والغلان والحسان (٣) فقد ارسل السلطان ثلاث
باشوات من القادة الذين يعتمد عليهم لكي يجلبوا الفرس عن
البصرة فلما وصلوا بغداد وكانوا عبدالله باشا وعبيد باشا ومصطفى
باشا (اشاعوا ان السلطان اصطحب مع ملك العجم كريم خان وانه
عن قريب تنفك المحاصرة عن البصرة (٤) وزاد الطين بلة انهم

(١) نيل المراد ص ٢٨ مطالع السعود وجريدة العرب ج ٣ السنة الاولى .

(٢) مطالع السعود ص ١٢٩ .

(٣) غاية المرام ، ومطالع السعود .

(٤) مختصر مطالع السعود ٩ .

زوروا فرماناً عن السلطان يتضمن هذا الصلح (١) وعزل والي
البصرة . وبذلك فتوا في عضد المدافعين عن البصرة والمحاصرين
من قبل العجم فأمنوا جانبهم فما كان من الفرس الذين لم يكونوا
يعرفون مثل هذا الامر الا أن اوقعوا فيهم السلب والنهب
والذبح (٢) .

فلما سمع والي البصرة بعزله خرج من البصرة وخيم في الجانب
الغربي لكي يسافر الى استانبول ولكن لما سمع مصطفى باشا بذلك
خشى مغبة الامر فارسل رجاله وزودهم بفرمان آخر مزور يأمر
فيه بقطع رأس الوالي « لانه أهمل شأن البصرة » (٣) .

٢ مساعرو الوالي

كان للوالي مساعدون يساعدونه في مهمته في مختلف الأعمال
الادارية وضبط أمور الولاية وأول هؤلاء الموظفين أهمية هو :

(١) مطالع السعود ص ١٢٨ .

(٢) كتب المرحوم الباحث يعقوب مركيس حول بعض المعارك في جريدة الأخبار

العدد ٤ الصادر في كانون الثاني ١٩٥٥ .

(٣) مختصر مطالع السعود ص ١٠ ولكولن ص ١٢ .

الكتخدا (١): وهو مساعد الوالي ومعاونه ونائبه ويقوم بمساعدته في جميع القضايا الادارية والعسكرية والمالية ، فاذا ثارت قبيلة من القبائل قام الكتخدا بقيادة الجيش فهو ناظر النظار (٢) وغالباً ما يأتي مع الوالي ويعزل بعزله وقد يطلق عليه الوالي الثاني وكانت له دار خاصة به وله مراسيم في التشریفات حين يستقبل الناس كالوالي (٣).

الدفتردار : وهي وظيفة مالية لا كبير رئيس في الولاية فتجمع بسلطته الأموال والضرائب المباشرة وغير المباشرة (٤) التي يفرضها الوالي وينبغي أن يكون الدفتردار متضلعا في الامور المالية واسع الاطلاع والمعرفة بقوانينها وأن يكون ذا ثقافة عامة (٥) واكثر الذين يشغلون هذا المنصب الخطير من متخرجي المالية إذ يترقون

(١) وقد يسمى الكهيا أو الكهية تخفيف الكلمة الفارسية كتخدا ويراد بها كبير القرية أو الشريف أو القهرمان ورئيس عملة الصنف أو رئيس الصناعة وهو ما كان يسمى في صدر الاسلام والعباسيين الدهقان وجمعها الدهاقين .

(٢) الترياق الفاروقي ص ٥٠ ولاحظ تذكرة السفراء ص ٩٧ .

(٣) الممالك في العراق ص ١٠٧ .

(٤) ايرلند ص ١٣٣ والعراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٦٢ .

(٥) العراق بين احتلالين ص ٢٦٢ وتذكرة السفراء ص ٩١ .

في مناصبهم حتى يصلوا الى هذه المنزلة المالية الكبيرة في الولاية ولا تزال القدرة المالية والثقافية العامة والدراية الواسعة من مستلزمات وزير المالية في أية دولة حتى الآن (١).

القاضي : وهو ما نسميه في العراق الحاكم ولا تزال تستعمل هذه الكلمة في بعض الاقطار العربية وكان يتبع لشرع الخفيف في قضاياها التي تعرض عليه لذلك نجد قاضياً تركياً يرسل الى بغداد أو أن يرسل قاض من بغداد الى سوريا ، والفقهاء الاسلامي وفتاوى المجتهدين السابقين كانت تؤثر في حكم القاضي ، وقد كانت الدولة تختار لقضاء بغداد قضاة متميزين في العلوم معروفين في الفقه والعلوم الإسلامية فيعدون من الصنف الأرقى (٢) ذلك لأن بغداد كانت تزخر بالعلماء الكبار الذين وقفوا حياتهم للدين الإسلامي والأفتاء لذلك يجب أن ترسل قضاة ممتازين توفيقاً من

(١) الدفتر دار : كلمة فارسية تركية مركبة من كلمة (دفتر) المستعملة في العراق بمعنى كتاب و (دار) أي صاحب أو عامل ويراد به كاتب الحسابات وم على ثلاث درجات الدفتر دار الأكبر أو الأول وهو وزير المالية والدفتر دار الثاني وهو الأوسط وكان يراقب أسلوب الضريبة بموجب النظام الجديد الذي أسسه السلطان سليمان الثالث والدفتر دار الأصغر أو الثالث وكان يتولى أحكام دار السلطنة (الاستانة) .

(٢) العراق بين احتلالين ج ٤ : ص ٢٦٩ .

مقدرة العلماء . ورغم ما كانت عليه مكانة القاضي فان الدولة لم تكن تفكر في أن تجعل له راتباً خاصاً به من الخزينة ، انما كانت رواتبهم من حسنات المسلمين حتى جاء سليمان القليل فأخذ ينفق من بيت المال عليهم إذ رتب لهم رواتب معلومة يتقاضونها من الخزانة (١) ومع أن رواتبهم لم تكن تبلغ ما يساوي خمساً وثلاثين ليرة في الشهر كانت تستلم بدون نظام شأن موظفي الدولة الآخرين فانهم كانوا يشرون أثراء فاحشاً يرتفعون من قعر الفقر الى قمة الثراء (٢) إذ لا يمكن استثناء القضاة من الداء المتفشي ورغبتهم في جمع اكبر كمية ممكنة من المال لكي يحافظوا على وظائفهم بالثراء والارتشاء لكي يحتفظوا بمناصبهم .

الخزندار (٣) : وهو مدير الخزينة العام لولاية بغداد واليه توكل امور ايداع الدراهم وقد تتعدى واجبات وظيفته الى حفظ أموال الأغنياء والحلى الثمينة والاموال الفاخرة (٤) فهو بمثابة البنك

(١) لغة العرب العدد ٩٩/٣ سنة ١٩١٦ ومطالع السعود ص ١٩٥ .

(٢) آيرلند ص ٧٩ .

(٣) متكونة من كلمتين خزنة - معناها - الصندوق أو الخزانة و [دار] صاحب .

(٤) تذكرة الشعراء ص ٩٠ .

الذي تودع لديه الأمانات .

المصرف : وهو الموظف الذي يتولى صرف الإيرادات التي ترد الدولة كما أنه يسجل الواردات فهو رئيس حسابات الولاية (١) فهو موظف مقام على النفقات والمقبوضات .

٣ - الموظفون الآخرون

وقد كان لهؤلاء الرؤساء وحدات يديرها كتاب يتولون تصريف شؤونها ولهم ديوان وقد جمع الخطاطين البارعين والمنشئين الماهرين وأرباب المواهب الممتازة (٢) والديوان التي كان يشرف على ادارتهم وقد كان يسمى الرئيس (المكتوبي) (٣) أو المكتوبجي على صيغة اسم المفعول . ومن شروطهم التفوق في التحرير والكفاءة العلمية والادبية بما يناسب عمله وقد كان الديوان يحتوي على كاتب للفارسية وآخر للعربية . ومن المفروض أن يجيد

(١) المصدر السابق ص ٩٨ اسم الوظيفة مصرفية ومحل الصرف المصرفانة .

(٢) العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٣) هو الكاتب في اللغة التركية ولا سيما في المناصب الكبيرة من الدولة وهو المنشيء أيضاً والمحرر ورئيس ديوان ادارة الكتاب واسم المنصب المكتوبجي أو المكتوبية فأتخذ اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل .

الكتاب جميعاً اللغة التركية . ويسمى هذا الديوان ديوان
أفنديسي (١) .

الحسبة

ولابد لنا أن نعرض على مؤسسة أخرى في الولاية وهي
الحسبة ونظام الحسبة ليس حديثاً بالنسبة للدين الاسلامي فقد كان
في الدولة الاسلامية الاولى من عهد عمر بن الخطاب وقد ذكر
النظام ابن خلدون في مقدمته فقال عنه انه (وظيفة من باب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر) الذي هو فرض على القائم بأمور
المسلمين يعين لذلك من يراه أهلاً له فيتمتعين فرضه عليه ، ويتخذ
الاعوان على ذلك ويبحث في المنكرات ويمزق ويؤدب على قدرها
ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة ، مثل المنع من
المضايقات في الطرقات ومنع الحمالين ، وأهل السفن ، من الاكثار في
الحمل ، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وأزالتها
وما يتوقع من ضررها على السابلة . . . وما يتعلق بالغش والتدليس

(١) الافندي كلمة تركية من أصل يوناني تطلق على السيد أو الأديب أو الفاضل
وديوان أفنديس كاتب الديوان .

في المعاش وغيرها وفي المكايل والموازين (١) فهي مصلحة قريبة
من أمانة العاصمة أو البلدية ووصفها الف—رادي بأنها « مصلحة
إدارية لتنظيم أعمال المدينة ومراقبة هذه الأعمال لتجري بوجه
الصحة وإن تلاحظ ما يقع من غش المعاملات أو ما يضر
بالصحة وسائر ما من شأنه أن يراقب مثل البيوعات وسائر الأمور
المدنية » (٢).

الجيش والرك

ولابد من وجود قوة لكي توطد دعائم هذا الحكم في العراق
ولحراسته وقد كانت هناك قوتان الجاندرمه والجيش وقد كانت
الجاندرمه تقوم بأمور تتعلق بالامن الداخلي الهينة فهي تقوم مقام
قوات الشرطة (البوليس).

أما الجيش فقد كان القوة الكبيرة المعدة للطوارئ وما أكثر
هذه الطوارئ التي كانت تمصف بالعراق فيتخذها الوالي أداة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٥ دار الكشاف بيروت .

(٢) العراق بين احتلالين .

لتوطيد الامن والدفاع عن كيانه وكيان ولايته إذا ما هوجمت من مهاجم اجنبي ولم يكن هناك ما يخشى منه سوى ايران .

والحقيقة ان الجيش كان اداة لتأديب المراقبين ولضرب ثورات القبائل فقد كانت تضرب بعض المدن متى عصيت الوالي في امر من الامور وتؤدب القبائل التي تحدثها نفسها بالتمرد على السلطة الحاكمة . وإذا ما عجز وال من الولاية في بغداد أو البصرة أو الموصل فقد كان يستنجد بالولاية الآخرين .

وقد كانت في العراق من (اليكنجيرية) (١) ولكن داود باشا كان قد حول هذا النظام بطلب من الدولة سنة ١٢٤١ هـ الى جيش نظامي جديد .

ومن الاصلاحات التي ادخلت على الجيش اصلاحات داود باشا فقد استجلبت له من اوربا ومن سائر الاقطار بعض الصناعات والصناع وأمر بصنع المدافع والبنادق على الطراز

(١) اليكنجيرية : تقرأ ينجيرية ومعناها الفرقة الجديدة : يكنى جديد ، جرى : فرقة ألف هذا الجيش السلطان ادر خان ثاني سلاطين العثمانيين وألف في زمن محمود الثاني .

الجديد (١) غير أن الظروف لم تكن مواتية لداود باشا لكي يستقل
بالبلاد وشاءت الطبيعة أن تقضي على مشاريعه فقضى على المشروع .
والجيش أقسام متعددة متنوعة لا تهتمنا في البحث وقد تطرق إليها
الأستاذ المزاي (٢) .

Four Centuries of Modern Iraq, S. H. Longrigg - (١)
Oxford, 1952 P. 260-261

(٢) العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٧٨ .

« داود باشا »

ونهاية دولة المماليك في العراق

١٨١٧ - ١٨٣١

١٢٣٢ - ١٢٤٦

طلات غيبة الطفل المترف المدلل عن اهله « وطلال هلع امه ونحيبها ولكن اين داود؟ الكرجي الجميل الصبوح المشرق وهو الذي لم يتجاوز من العمر الثانية عشرة؟! كان بين يدي سارقيه يحاول التخص بكل ماوتي من قوة الطفولة وعرامها يدفعه الهلع ويحرقه الحنين الى اهله واسرته والخوف من المجهول ... فهو لا يعرف ما يريدونه من سرقتهم له ، والى اين سيقر قراره . (١)

ولو ان عالم الغيب انكشف له في تلك الساعة وعلم انه سيكون والياً على العراق بأجمعه لظن ذلك اوهاماً ... واعتقد انها خدعة يريد اهل السارقون .

(١) تذكرة الشعراء ص ٥ ، ٢٢ ، ولونكريك ص ٢٣٩ .

اوصلوه الى بغداد اسيراً^(١) . . . وكانت بغداد بحاجة الى
المال لكى تربيههم وتدر بهم « وتشفقهم وتنتفع بهم » وكان الولاة
حريصين على تكوينهم لانهم سيكونون الصق بهم وسيكون
مستقبل الواحد منهم مرتبطاً بمستقبلهم لذلك سيخلصون لهم
ويتفانون فى خدمتهم ورضائهم .

بيع داود فى اسواق العراق وانتقل من يد الى اخرى وقابل
مختلف الناس والعناصر وفيهم الرفيق اللطيف والخشن الفظ حتى
وصل به المطاف الى سليمان باشا الكبير^(٢) فاذا بهذا الطفل المسيحي
يعيش فى بيئة اسلامية « ويرى الجموع تصوم وتصلي وتؤدي الفرائض »
فابتعد عن الكنيسة وعن اجراسها ولم يبعث فى نفسه اصواتها الا
ظلالاً من الذكريات تعنف احياناً ولكنها اخذت تهفت وتتضاءل
اذ لم يذهب اليها ليؤدي القداس ولم يقيم بشعائر الصلاة فيها واستبدل
بها ، الجامع وصوت المؤذن الذي ينادي الله أكبر . . . وان لا إله
إلا الله وان محمداً رسول الله . . . فعند ذلك اطمأن قلبه الى الاسلام .

(١) خلاصة تاريخ العراق - للكرملي ص ٢٠٦ .

(٢) لونكريك تذكرة الشعراء ومطالع السعود ومختصره .

عرف داود الحياة وتمرس بافاتها صغيراً « وتعلم ما لم يتعلمه
امثاله من الشباب وقد اخذ سيد البلاد يعني به العناية الطبية
ويوجهه التوجيه الكريم » ولا يدخل وسعاً في تعليمه وتثقيفه .
وكانت مرارة البيع والشراء « والتقلب بين ايدي الناس تزيد في
حماسة هذا الفتى الذكي يؤازرها حماسة الشباب والغربة وذلة
الاسر (١) فهو رقيق ملك سيده وهو عبد أقل مستوى من
الأحرار فيجب ان يرفع من قيمته في هذا المجتمع الذي انزله الى
هذه الدرجات وليبرهن لهم انه اعلى منزلة من غيره من المماليك
كان امامه سبيل العلم واضحاً موطئاً ومهيع الادب والفضل
لا حباً ، فلم لا يتزود منه ولا يرتوي من هذا النهر العذب الزلال ؟ !
فانكب داود بهمة ونشاط على دروسه فدرس اللغة العربية والفقه
والاصول (الفقه والدين) كما اجاد القرآن الكريم اجادة تامة
وحفظ من آياته البينات ثم ألم بالتصوف ودرس البيان
والبديع وعلم التفسير وكل العلوم التي كانت تدرس آنذاك
للطلاب (٢) .

(١) خلاصة تأريخ العراق ص ٢٠٦ وتذكرة الشعراء .

(٢) مطالع السعود ومختصره ولغة العرب ١٢-٢٠ .

فكان الطالب المبرز واصبح العلم الذي يشار اليه بالبنان . ثم
اجاد اللغتين الفارسية والتركية فقد كان اديباً باللغات الثلاث . كان
داود متدرج في مراقي العلم بين اخوانه يدربه مدرب خصصه له
سيده على استعمال السيف « فكان الفارس البطل » .

كل هذا وسيده يرقبه عن كثب ويمجبه به اشيد الأعجاب
فازدادت ثقة سليمان باشا الكبير به « وحرصه على راحته » هذه
الثقة جعلت من داود اميناً لمفاتيح الوالي « ثم حاملاً لأختامه » .
وكانت العيون ترمقه شراً « وتنفت قلوب الحاقدين كمدا
وحزننا لما اصابه هذا المملوك من العطف السامي الذي حباه به
سليمان . والذي كان يكافئ النبوغ والعبقريّة فزاد في النفوس
غيتها وكدها » .

ثم اصبح الناس حيارى من هول ما سمعوا : « سليمان باشا
يزوج ابنته لداود ، السيد الجبار حاكم بغداد يزوج ابنته لعبد من
عبيده ولكنهم لو فتشوا في دوائر سليمان لوجدوه يعيد امامه
تأريخ حياته ، لم يكن مثله رقيقاً يباع ويشترى » فلماذا لا يسبق
على داود عطفه ولماذا لم يذوقه من الحنان والعطف والرضا » بعد ان

نسى الحنان بين أسرته . . . واخوانه واصحابه فما عاد يذكر للحنان
واللطف الا الذكريات .

وما بال القوم يهذرون الم يأمر الدين الإسلامي الكريم بمعاملة
الأرقاء بمعاملة حسنة ويأمر بالتحدث اليهم بالحديث اللطيف ليجبر
تلك النفوس الكسيرة فكم من مرة امر الرسول العظيم وحث
على مواساتهم والحدب عليهم واستنزل اللعنات على من يضرب
عبده ؟ ! .

ثم ألم يكن سياحان (آغا) متزوجا بابنة سيده أحمد باشا ثم
غدا بعدها (باشا) وهو اول من رسخ عهد المماليك في العراق عام
١٧٥٠ م فلماذا يتقول الناس ؟ لاشك انهم قد نسوا ذلك الحديث
لبعد الأيام وتوالي السنين . اخذ داود باشا يعتلي المناصب حتى
صار (دقتر دارا) وكان هذا المنصب لا يعهد الا لذوي الكفاية
والدراية والعقل الكبير من الناس . لأن الدولة كانت تعيش للمال
وتحيابه ، وليس سوى المال من حياة ، هذا في زمن عبد الله التوتونجي .
وعندما تسلم سعيد بن سليمان باشا الحكم رفعه الى درجة (الكتخدا)
وقد كان داود يرفع من سمته يوماً بعد يوم . فلم ينزل كغيره الى

قبول الهدايا والرشاوى وهو في غنى عنها يصده العلم والأدب
 والتجارب القاسية المرة . ثم فكر فيمن يسانده ويعتمد عليه في
 المستقبل لذا عامل الجيش معاملة حسنة فكسبه ثم ان داود كان
 دائم الابتسام بشوشاً في سلوكه غير متصنع في معاملاته كما كانت
 ظرافته تستعبد اشد مناوئيه وتجذبهم اليه (١) كل ذلك لكي يمد
 نفسه لليوم الكبير ويهيئ الجو لكي يتسنى عرش بغداد ويهز
 صولجانها بيده وقد كان يجتمع في ناديه الناس . وكان هذا النادي
 ملتحق الطبقات المثقفة والبارزة وكانت تخرج منه فتكيل الحمد له
 والثناء على اخلاقه وكرمه . مشيدة بفضله . هذه النفس التي
 اسرت قلوب الناس . واستولت على نفس سعيد صهره وابن
 سيده فقد كان يحمل لداود ذكريات الطفولة وكان يرى والده
 براه ، عطوفاً في معاملته ، وكان الطفل سعيد يهرع الى داود
 يسأله عن دروسه فكان يبذل قصارى جهده في توجيهه فيزداد
 إعجاباً بالعلم الوفير والوقار والهيبة التي يلمسها في داود .
 ولما تبوأ سعيد باشا اريكة الحكم عين داود كتحداه ، واطلق

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٢١ .

يده في شؤون الدولة . لكن الشقاق العائلي وسوء التفاهم كثيراً ما يذهب بين النساء « فأخذت أم سعيد تهاجم داود بعنف » حتى أنها قالت لسعيد باشا (ان هذا واشباهه اعدائي منذ عهد عهيد) (١) وقد حاول سعيد استرضاءها بطرق متنوعة تارة بالتذلل وآونة بالخضوع ثم اخذ يضرب على الوتر الحساس الذي تحسه المرأة وقال لها (انه صهرنا المكرم الذي قدمه ابي واختاره الى مصاهرته) (٢) ولكن ضعف الرأي وسيطرة المرأة تغلبا على سعيد باشا رغم حاجاته الماسة اليه ورغم ان عزله سوف يؤدي الى رد فعل كبير بين الناس ويعزف القلوب عن مؤازرته .

نحن لانلوم سعيداً على عمله فقد كان تحت رعاية أمه حتى ذلك العمر ، إذ لم يكن يتجاوز الثانية والعشرين فقد بقي تأثيرها عليه حتى هذه السن كبيراً ثم لم يكن مستقلاً في رأيه وعمله عنها « وقد كان ضعيفاً لذلك استسلم الى أم جاهلة ومجنونة (٣) وعزل ركناً من اركان المملكة من منصبه ثم ان سعيد باشا كان محباً للانس

(١) الكولن ص ٢٤ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) لونكريك ص ٢٣٤ .

والطرب» ومفرط العشق للنساء (١) زد على ذلك انه كان ضعيفاً لا يتقيد بالعرف وقد خضع لتأثير امه خضوعاً مهيئاً . وقد اوغرت صدر سعيد باشا بعماء داود وكان حولها جماعة لا تريد النبوغ ان يبرز والسجاليا العالية ان تظهر ، فأوهموه ان القصد الأول لداود قتله والاستيلاء على دست الولاية . وخوفوه مغبة الأمر . خاصة ان الجيش تأثر بأمر داود وانه يحبه حباً جما ويخضع له راضياً شاكرآله كريم عنايته . ثم جسموا تلك الفكرة في رأسه واخبروه انه سوف يأمر بخنقه ليلاً وأكدوا القول في ذهنه بالتكرار المتواصل .

والحكم والنفس عزيزان على المرء لذا اخذ يفكر فيما يصنع بـداود فكان مشيروه اسرع منه اجابة قائلين له (تغد به قبل ان يتعشى بك) ورتبت خطة لقتل داود (٢) فلما علم داود بذلك خرج من بغداد بحجة الصيد (٣) والقنص ، ولاكنه فر هارباً من بغداد لكي يعتزل في احد الجبال المحصنة وتبعه اعوانه وبعض

(١) الرافدان ص ٢٥٠ .

(٢) مختصر مطالع السعود ص ١٢٤ .

(٣) الكولن ص ٢٥

المتبرمين والناقمين على سوء معاملة سعيد باشا حتى وصل كر كوك
فرحب به محمود باشا ترحيباً حاراً لمكانته (١) وفي كر كوك كان
داود يجلس الساعات الطويلة مطرقاً مفكراً معتزلاً الناس إذ كان
يودع مآلعه من جمال التعبير وقوة الأفصاح والاقناع في رسالة
بعث بها الى السلطان يخبره بالمصير السيئ الذي وصلت اليه حالة
البلاد في العراق (٢).

لاشك في ان الرسالة كانت ممقداً آماله ففيها حياته ومماته .
اما ان ترفعه الى الذروة أو ان تنزله الى اللحد وقد كان داود يعد
عدته لهذا اليوم الرهيب منذ عشرين سنة وقد عرف عنه في
الاستانة الشيء الكثير من مزاياه العالية وعلمه الوافر ، وعن
مقدرته ، وعن عقله وفضله . ثم ان داود أخبر صديقه في الاستانة
« حالت » أفندي بأدق الامور واعمق الاسرار وهناك بذل حالت
افندي الجهد اليسير في توجيه الاياله لداود . وقد كان داود ينتظر
ورود الفرمان على احر من الجمر ساهراً لا يغمض له جفن اما بعد
فبقيت بعد داود باشا بيد سعيد وامه المجنونة وجماعة آخرين لا قيمة

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٢٤ والكولن ٢٥ و ٢٦ .

(٢) نفس المصدر .

لهم في معايير التجارب والعقل فتفتشت الفوضى بين الناس وانتشرت اللصوصية دون ان تفكر الحكومة في الضرب على ايديهم، بل ان بعض الناس كانوا يشجعون اللصوص لكي يستفيدوا من الاسلاب (١) ثم ان نفقات سعيد على ملاذه الشخصية ولياليه ومرحه اعادت للذهن عهد العباسيين (٢) وعندما كان يفوز بالمال كان يستدين من عامة الشعب على ان يسدد ذلك من واردات السكر. وبينما كان سعيد باشا ساهراً في لذاته ونسائه كان داود باشا ساهراً مثله وسكن في سبيل مثل اعلى، وفي غاية ارفع هي الاستيلاء على بغداد. فقد وصلت اليه السعادة وشمله الجبور بمزل سعيد باشا وتعيينه بيلربكي (٣) لبغداد والبصرة وشهرزور. واراد داود ان يفت في عضد سعيد فأرسل صورة الفرمان الى حمود بن ثامر رئيس قبائل المنتفك لانه كان يساند سعيداً (٤) ففت في عضد سعيد بانسحاب القبائل الموالية له. فما كان من حمود الا ان ارسل

(١) لونكريك ص ٢٣٥ .

(٢) الزاهدان ص ٢٥٠ .

(٣) امير الالواء .

(٤) مختصر مطالع السعود ص ١٢٥ .

الى سعيد باشا ينصحه بعدم القتال وتسليم بغداد لصاحبها
الشرعي .

وقد كان تعيين داود نازلة نزلت على سعيد باشا فأخذ يستنجد
بقوات متعددة غير ان خواء الخزينة حال دون ما يريد إذ لم يبق في
بيت المال شيء من الدراهم لكثرة ما انفقته على ملذاته ، حتى انه لم
يتمكن ان يدفع للجند رواتبهم . ثم اخذ بعض المماليك يهربون الى
داود عندما اخذت الحالة تسوء يوماً بعد يوم وقد بدأت فعلاً
ثورة علنية في بغداد في محلة باب الشيخ فسهل ذلك الامر لداود
فدخل بغداد واخذ الناس يتوافدون عليه مرحبين به .

اما سعيد باشا فقد تحصن مع بعض القوات داخل القلعة فما
كان من قوات داود الا ان تبعته وقطعت رأسه وهو بين حضن
امه وبلاطة وابقت القوات الجثة بين يدي امه وقد ساء قتل سعيد
باشا (داود) إذ لم يكن يريد ان يقتضي على ابن سيده وصهره .
وبذلك قضى على عهد سعيد وبقيت امه تنوح على ايامها وعلى
ولدها . ولكن ليس لها مساعد ولا معين فقد انقضت من حولها
الناس .

صهرت التجارب داود وعركته الحن ، فامتحن فيها الايام
فقد تولى ولاية بغداد وهو في الخمسين من عمره وكان يعرفه اهل
بغداد جيداً بالمزايا الحسنة والخلال الرفيعة والعلم والفضل . وعندما
تسلم زمام الامر وجد الخزينة خواء فقد انفقها سعيد باشا وحتى
ذلك الوقت لم يكن الجيش قد تسلم راتبه زد على ذلك ما كانت
تعانيه بغداد من الفوضى والاضطراب فقد كانت القبائل ، كما
نعهدها ، يهاجم بعضها بعضاً ، وإذا لم تقا تل فهي تهاجم المدن
للاستيلاء على شيء من اموالها . هذه المشكلة من المشكلات التي
كانت مستعصية على الحكومة فقد كانت تهدف الى جعلهم
مواطنين صالحين للدولة . ولكنها كانت تستعمل القوة والضغط
دون ان تفكر في طرق ناجحة في استيطانهم بل لم تفكر في بذل
بعض مثل هذا المجهود .

ولا ادري كيف تخضع القبائل للدولة وهي تطالبهم بالضرائب
المتوالية دون ان تقدم لهم فائدة محسوسة لقاء اخذ هذه الاتاوات
وكانت الولاية كلما اعوزها المال تهاجم القبائل ومتى انتصرت عليها
اجبرتها على دفع الضرائب ولم يكن داود الذي جرب هذه التجربة

في خلال بقاءه في العراق بالحادث عن هذه الطريقة وهو الآن
أجوج الناس الى المال لذا تراه عندما تلكأت الدليم (١) عن دفع
الضريبة ارسل اليها الكتخدا بمسكره وغنم منها مالا بعد ان
استحر القتل بين المعسكرين وكأنها الحرب بين دولتين متعاديتين .
وبالرغم من ان المشيرة عاهدت الكتخدا على الطاعة لكنه
استوفى من المواشي والابل والخيول (٢) ما اراد ولم يكتف الكتخدا
بذلك بل عامل عدة قبائل هذه المعاملة مثل بني زوبع وجميلة وآل
عيسى حتى ادوا الضريبة المطلوبة منهم فطرب داود لهذا النصر
وارسل الى قائده سيفاً مكافأة على عمله .

ولم تكن الجيوش تكتفي بالهجوم على القبائل المتأخرة عن
دفع الضرائب انما كانت تهاجم القبائل الأخرى فقصد هاجم
الكتخدا في طريقه قبائل كانت حول بغداد في منطقة الخالص
ونهب منها اربعين رأس غنم وخرب البساتين في (الخالص)
و (خراسان) وان ساغ لكتخدا ان يهاجم القبائل العراقية بحجة

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٣٨ .

(٢) مطالع السعود ص ٢٤٤ .

عدم المحافظة على الامن او انها لم تقدم الضريبة المطلوبة منها ، فما
حجته في مهاجمة القبائل التي جاءت تأخذ الميرة كما صنع مع قبائل
ابن هذال ؟ (١) .

ومن المؤسف انه لم يكتف بمهاجمة القبائل بل كان يهاجم المدن
محتجاً بانها خرجت عن الطاعة فقد هاجم (عفاك) فتحصن الناس
بالقلعة واسكنهم فروا ليلاً خوف المدافع حين علموا انها ستطلق
عليهم نهاراً ولما عرف السكتخدا بذلك دخل المدينة ونهبها واستولى
على الاموال والذخائر التي كانت فيها (٢) .

لاشك ان قصص داود باشا كان ارهاب الناس و اظهار قوته
لكي يوطد الامن ثم يملأ الخزانة الفارغة الخاوية على عروشها
بسرعة لكي يوطد حكمه وهو في اول ايام ولايته .

مطامع داود :

كان داود يشعر بفساد حالة الدولة وها هو ذا يشهد استقلال
الولايات لذلك كانت الآمال العذاب تداعب ذهنه في ان يستقل

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٣٧ .

(٢) المصدر السابق .

هو في بغداد ، كما استقل محمد علي باشا في مصر . فأعد العدة لهذا الاستقلال وكانت اولى هذه الدعائم هو الجيش ليكون درعه عند الملهمات وساعة الشدائد ويجب ان يكون مدرّبا تدريباً عسكرياً حديثاً فعهد الى المسيو ديفو الفرنسي (١) الذي كان من ضباط نابليون في تدريبه بل ان ابن المقيم البريطاني الميجور تايلور كان بمهنته ككتيبة من الخيالة ، وقد ارسل داود باشا الى الهند يطلب بعض المعدات لهذا الجيش ولكنها رفضت طلبه ، ثم طلب المساعدة بمقياس اكبر لتجهيز الجيش الذي اعده فقد اراد ضباطا ومدرسين وصناعا وثلاث سفن مسلحة كبيرة وكميات كبيرة من الذخائر الحربية . . . ولا شك في ان الهند كانت تعتمد ان هذه الاسلحة سوف تستعمل في اغراض العصيان وهي حريصة على علاقتها بالدولة العثمانية ولكن نظام الجيش قد ثبت إذ استدعى (داود) صناعا من اوربا واحسدت مصانع الجوخ والبن والبواريد (٢) واجتهد في ترقية المصانع الوطنية وألف جيشاً نظامياً عدده عشرة

(١) الكولن ص ٣٩ ويسميه ثابت (دودة) .

(٢) البواريد جمع بارودة وهي البندقية .

آلاف بين مـدفعية ورجالة (١) فأخذ النظام الحديث يشتد
ويقوى ثم اخذت الروح المعنوية للجيش ترتفع ففسد انتظمت
الامور واخذ الجند يتسلمون رواتبهم في أوقاتهم المحدودة لها .

اصلاحات داود :

ومن كان يريد ان ينشئ دولة فلا بد من ان يفكر في اصلاحها
ويسبغ العدل عليها ويقرب قلوب الناس لكي يلتفوا حوله فقد
كان كما عرفنا عالما ذا فضل وادب فأخذ يتقرب الى الصوفية
وارباب الطرق فدفع لزعم الصوفية الشيخ خالد النقشبندي ثلاثين
الف ليرة ذهباً عندما سمع انه مدين (٢) وقد كانت الطرق لها
اهميتها وكيانها وسطوتها فأخذ المريدون يلهجون بالدعاء والثناء
على داود باشا .

ثم اعتنى داود بعمارة بغداد واخذ يعمر المساجد والجوامع
وامر بفرس الحداثق والبساتين ومن اشهر ما بناه الجامع المعروف
بالمولى خانه وكان له مئذنتان ، وجامع الحيدر خانة وجامع باب المعظم

(١) الكولن ص ٢٩ .

(٢) نيل المراد ص ٢٨٣ ومساجد بغداد والكولن ص ٢٩ .

المسمى بجامع الازبك ومسجد السيف والمسجد المحاذي للجسر من الجانب الغربي ولم يكتف بالبناء بل اخذ يحدد بعضها مثل جامع السادة في الباب الشرقي وسوق المولى خاؤه وسوق الحيدر خاؤه والخان المتصل بباب الجسر المعروف بخان داود باشا (١) ومخزن الاطعمة المعروف بالسيف ومن ذلك البستان الكائنة قرب الامام الأعظم ذات القصر الغريب الشكل ووقف بعض الاوقاف عليها (٢).

وقد اعتنى داود باشا ببعض الاصلاحات العامة فاحتفر الانهار التي عفت ودرست فزادت في مدة حكمه موارد البلاد العلم :

ومن ميزات داود باشا انه تفرغ وقتاً من اوقاته للعلم وخاصة انه نشأ نشأة علمية وكان يحاول ان يوطد حكمه ويستقل بولايته كما استقل محمد علي باشا في مصر، وللعلم والعلماء في الحكومة اثر كبير ولا تنسى ان داود تشفق على ايدي العلماء الكبار ومنهم صبغة الله

(١ و ٢) الكولن ص ٢٩ ومساجد بغداد الصفحات ٢٨٩ و ٣٢٢
و ١٢٥ و ١٢٩.

الحيدري فقد اجاهه في الاصوليين وتفسير البيضاوي (١) كما
اجاهه زين الدين جل الليل (٢) وقد قرأ القرآن على شيخ القراء
محمد امين الموصللي وقرأ النحو والصرف على الملا حسين بن محمد
علي ودرس التصوف على الحافظ احمد مدرس السلجانية ودرس
الرياضيات على لطف الله افندي (٣).

ولم يكتب داود بالدراسة بل انه قد اجاز بعض التلاميذ مثل
اسعد افندي الحيدري (٤) ومحمد البرزنجي الذي قرأ عليه جميع
العلوم (وتخرج حتى صار هذا السيد من ارباب الكمالات المشار
اليهم في العراق (٥) ومحمد النائب وكان امين داود وكاتم سره وقد
ارسله لمفاوضة العجم (٦) وقد كثرت المدارس في عهده حتى انها
بلغت ثمانية وعشرين معهداً كبيراً للتدريس واخذ يستجلب
المدرسين من انحاء البلاد وجعل في كل معهد مدرساً خاصاً

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق تجد ترجمته في ص ١٧٤ .

(٣) نفس المصدر ص ١٧٢ .

(٤) مساجد بغداد ٢٦ ومجموعة تراجم العلماء ص ١٤ .

(٥) مختصر مطالع السعود ص ١٧٥ .

(٦) مختصر مطالع السعود ص ١٤٦ .

بذلك المعهد واسكنهم وجعل لهم جرايات ليعيشوا عليها من بيت
المال العراقي (١).

وقد اعتنى داود كثيراً بالمساجد ولا سيما الجامع الذي أنشأه
وعدد فيه المدرسين والأئمة والخدم ليؤثر من هذا الطريق في
الناس وبذلك يكون المدرسون أداة للدعاية له بين الطلاب فينشرها
الطلاب بين أهلهم وذويهم.

اهم المعاهد التي عني بها داود :

مدرسة داود باشا ومدرسة علي باشا والمدرسة العادلية ومدرسة
الاعظمية والمدرسة الاحمدية والمدرسة السلطانية حتى بلغت عدد
هذه المدارس ثمانين وعشرين مدرسة ثم تعهد اثني عشر معهداً
آخر بين رباط ومرقد ولى (٢) وبالإضافة الى هذه المساجد
والجوامع التي كانت في الوقت عينه مدارس فقد عمر كثيراً من
المساجد الأخرى كتعميره مسجد باب السيف السكائن في الكرخ
وجدد مسجد رأس الجسر ووسعه بعد ان كان ضيقاً وأقام فيه

(١) جريدة العرب ١١/٨/١٩١٧.

(٢) مساجد بغداد ص ٣٦.

المحراب الذي كان منحرفاً وعندما اشرف جامع الازبك على
الانهدام تداركه وجسده ثم وسع فناءه وشاد فيه مئذنة صغيرة
لا زالت قائمة الى هذا اليوم وهي مطلة على شارع الرشيد، وقد نبغ
في عهده مدرسون كثيرون كالسيد عبدالله الآلوسي، وعبدالرحمن
الروزبهاني وتلميذ داود باشا محمد البرزنجي ومحمود الآلوسي ومحمد
سعيد السويدي وعثمان بن سند (١).

استفقر داود :

ولما رأى داود تردي حالة الدولة وما عليها من ضعف وهزال
فكر في الاستقلال وقد ساعده على تركيز هذه الفكرة طول
مدة ولايته التي استمرت خمس عشرة سنة نعم المراق فيه بشيء من
الهدوء والدعة بالنسبة للولاة الماضين .

ولم تسكن الدولة العثمانية غافلة عن تصرفات داود باشا ولا سكتها لم
تتمكن من صنع شيء فقد شط المزار وهي في حرب مع روسيا
(وقد سئل داود باشا أن يعاون دولته في محاربة روسيا فأبى وأخذ

(١) نجد تراجم لهؤلاء في مطالع السعود وفي تاريخ بعض المساجد والمسلك الاذهر
وغرائب الاغتراب وعنوان الجهد .

يبدي مآذيره ... (١) ولا بد من أن داود باشا الذي يعد العدة للاستقلال خشى على جيشه أن يذهب دون رجعة أو أنه خشى أن يبقى وحده دون مساند يسانده فيما إذا ذهب الجيش الذي جهزه وصرف عليه الكثير من وقته وجهده فارتاب السلطان محمود وأخذ ينظر إليه بعين كلها حذر وسخط وتمنى أن يستبدل به والياً آخر ولكنه خشى الملبسات وعدم نجاح هذه الفكرة.

تحفز السلطان :

ومما زاد في قوة السلطان المعنوية قضاؤه على الإنجليزية (٢) قضاء تاماً وحصراً في الاستانة وبذلك استراح من عدو قوي كان يخشى ثورته وعناده . فأصدر أوامره إلى جميع الولاة بالقضاء عليهم من كل ولاية . لكن داود باشا الأريب تمكن بدهائه من انقاذهم من الموت وضمهم إلى الجيش الجديد والنمى تشكيلاتهم غير أن محمود لم يرق له عمل داود وأخذ يفكر في كل الطرق للقضاء عليه وأخيراً صمم أن يقضي عليه بجحد السيف .

(١) السكولن ص ٢٩ و ٣٠ .

(٢) شرح الالفاظ الرسمية الواردة هنا تجددها في (الشعر العراقي في القرن التاسع

عشر) بغداد ١٩٣٨ .

داود و ابراهيم :

كان ملوك فارس يطمعون دائماً في الاستيلاء على العراق إذ فيه
الاماكن المقدسة التي يزورها الإيرانيون كل سنة لذلك فقد
كانت الحرب سجلاً بين الدولة التركية والدولة الإيرانية .
ولا يغربن عن البال أمر تلك الحملات التي قام بها الوهابيون على
الاماكن المقدسة وانتهاب ما فيها من ذخائر نفيسة وهدم القبور
والقباب التي كانت مقامة فوق اضرة الأئمة في كربلاء كالأمام
الحسين والأمام علي بن أبي طالب (١) وقد تعددت هذه الحملات
مما اقلق بال الدولتين التركية التي كانت تخشى ان تقوم حكومة
عربية تزاوجها في الهيمنة على الحجاز والدولة الإيرانية التي كانت
تتألم لما حدث للاماكن المقدسة وكانت كرمنشاها مجمع النافقين
على الحكم في العراق وموئل اللاجئين من العراق . فوجد الفرس
في التجاء العراقيين سبباً واحتجوا به وبسوء المعاملة التي كانت
يلاقونها الزوار الإيرانيون الداخلون في العراق لزيارة الاماكن
المقدسة من حكومة بغداد التركية في اعلان الحرب ضد

(١) يراجع غرائب الارض ص ٣٠٣ ومطالع السعود لابن سند .

الاتراك . فتقدم الجيش الايراني حتى وصل «الخالص» وكان داود باشا قد استعد للامر واستأذن الدولة في حرب المعجم فلما ابطأ على داود باشا الجواب جمع جيشه وعسكر عند سور بغداد وأخذ الجيش الايراني يتقدم نحو بغداد حتى وصل على بعد يوم واحد منها فأخذ الناس يهربون الى الحلة ، وكان داود قد جمع في خزائنه الأموال الكثيرة وحشد مخازنه بالغالل خشية ان يستولي عليها الجيش ، الايراني وفي خلال ذلك تفشت الكوليرا بالجيش الايراني وأصيب أمير الجيش فأضطر الى عقد صلح واخلى الجيش بعض الارض التركية عائد الى بلاده . ولكن بقيت بعض المناطق تحت سيطرة ايران فوردت فرمانات عدة ولاية لمساعدة والي بغداد وجعله رئيساً لتلك العساكر وقد كان يساعد الجيش رئيس قبائل شمر جربا إذ أخذ في اشغال الجيش الايراني وكان ينتصر عليهم (١) بين حين وآخر .

ثم أخذ الجيش التركي يتحرك نحو خراسان ولما سمع الفرس بذلك جهزوا جيشاً كبيراً فأجبروا قائد الجيش التركي على

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٤٢ - ١٤٨ ولونكريك .

الانسحاب غير ان القبائل أخذت تضايق الفرس واحرقت
الحاصلات في التي طريقهم ثم تفشت الكوليرا ثانية في الجيش
الايرواني فرجعوا دون ان يحققوا الحلم في الاستيلاء على
العراق .

آخر عهد داود :

كانت علاقة داود باشا بالسلطان محمود ودية حتى انه اهداه سنة
١٢٣٦ هـ خمسة عشر مدفعاً من الطراز الجديد بجميع معداتها وآلاتها
وادواتها، وارسلها صعبة احد رجاله (١) لكن نزعة داود في
الاستقلال التي راودت ذهنه وعدم الالتفات الى اوامر السلطان
محمود (٢) وعدم امداد الدولة بالمال (٣) اثناء الحرب الروسية
والروح المعنوية العالية التي حصلت للسلطان بعد قضائه على الينجارية
جعله يفسر تفكيراً جديداً في القضاء على نفوذ داود الذي
يستفحل يوماً بعد يوم فأرسل السلطان صادق افندي يحمل فرماناً
بعزل داود باشا من الولاية .

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٤٠ .

(٢) نيل المراد في احوال العراق وبغداد ص ٢٨٠ وضاية المرام ص ٢٠٤ .

(٣) الكولن ص ٣٠ .

ولما وصل صادق افندي بغداد خرجت قوة لاستقباله ولكنه لم يعرج عليها وذهب الى دار الضيافة مباشرة . ومما زاد في حنق صادق افندي عدم عناية داود به العناية الكافية . مما ادى الى الجدل والنزاع الكلامي في شأن عزله وتسليمه الولاية حالاً لمن يريد . صادق سرّاً الى احد مماليك داود باشا وفوضه على تقاييد الولاية ومنحه رتبة الوزارة ولكن المملوك اسرع وهو يرتجف خوفاً وفزعاً واخبر داود باشا بحيلة الخبر . اشتدت الهواجس بـداود إذ ان صادق افندي لابد ان يفاوض شخصاً آخر في هذا الامر وقد يوافق ذلك الشخص ويشق البلد شقين فلا بد من انقاذ الموقف الحرج الذي وقع فيه فأشارت عليه جماعته بقتل صادق افندي وقالت له : (مادام هذا الرجل على قيد الحياة فليس لنا في الحياة نصيب) (١) فأرسل اليه في الليل جماعة احاطت البيت ودخل عليه مقدمهم وخنقه ولما سمع داود بموته ذهب ونأكد من ذلك بنفسه ثم كتب الى الدولة بأنه مات بالهيبضة ، ولكن مثل هذا الخبر وهذه الطريقة تشيع بين الناس فعلمت بها الاستانة ولم يكن يجهل داود

(١) الكولن ص ٣١-٣٢-٣٣ .

بأن عمله سوف ينكشف لذلك أراد ارسال هدية للسلطان مكونة
من عدد من الخيل عساه يعفو عن زلته التي قدمها نحو الدولة بقتل
موفدها (١) ولكن الدولة لم تحتمل والفرصة سانحة فأرسلت اليه
والي حلب علي رضا باشا على رأس قوة كبيرة من الجيش .

ضميمة الاقرار :

كانت جيوش علي رضا باشا تتقدم نحو بغداد ومعه امر بعزل
داود من ولاية بغداد وتوليته عليها وكان داود باشا يسخر من
القادمين فقد اعد عدته لهذا اليوم وكان واثقاً من جيشه الذي
افرج عليه جهده وماله ودرب التدريب الكامل والمجهز
بالمعدات الكافية ولكن الاقدار كانت تسخر من داود ومن
تفكيره .

الطاعون :

لقد اخذ الطاعون يفتك بالناس فتكماً ذريعاً لا هوادة فيه
ولا رحمة واخذت اصابات الطاعون تزداد يوماً بعد يوم كلما ازداد

(١) الكولون ص ٣٥ .

على رضا باشا قربا من بغداد حتى لم يبق من يدفن الجثث التي كانت
طريحة في الطرقات والازقة (١) بعد ان عجزت المساجد عن
استيعاب هذا العدد الكبير فأخذت ترمى في نهر دجلة تخلصاً من
الجيف والرائحة التي كانت تملأ بغداد حتى قدر احد الكتاب (٢)
عدد الموتي في اليوم الواحد بعشرة آلاف إذ لم يبق من عساكر
داود وحاشيته غير ٤٦ رجلاً (٣).

الفيضان :

ولم تكن الطبيعة هذه المرة رحيمة بالعراق فقد اربعت بغداد
بالفيضان العالي واحيطت المدينة بالمياه وصعب على الناس الهروب
ثم اخذت السدود تتهاوى أمام ضربات المياه المتوالية فدخلت
البلدة وأخذت البيوت تتساقط على من بقي من الناس حتى قدرت
البيوت المتهدمة بسبعة آلاف بيت ، وهكذا أصبحت بغداد مقبرة
للأحياء الذين كانوا يأملون الفرار من الطاعون ثم اخذ البدو

(١) نيل المراد ص ٢٨٢ .

(٢) الشواف في حديقة الورود ورقة ١٣ ج ١ .

(٣) الكولن ص ٣٧ .

يدخلونها . والصعاليك والسراق يسرقون وينهبون ما يجدونه حتى
كان بعضهم يعاجله الموت اثناء السرقة (١) .

سراية داود باشا :

اما داود باشا فقد اضاع قواه واصبح عاجزاً عن القيام
والقعود فقد استولى عليه الطاعون وهاله ان يرى احلامه الحلوة ،
وامانيه العذبة تذوي بين يوم وليلة واخذ يسمع بتقدم علي رضا باشا
حتى لم يبق معه من يساعده الا امرأة عجوز ويحصل طعامه من
سماك كان يشفق عليه فقد اذن لجميع خدمه ان يغادروا بيته وبقى
علي رضا خارج بغداد . وطلب من داود الفرار الى المنتفك (٢)
لكنه ابى ، ولماذا يفر وقد ضاع اجمل آماله واحلامه فقد ركب
اليأس قلبه والمرض جسمه . ومما زاد الامر يأساً احتراق السراي
وقضاء النيران على كنوز داود واسلحته ومفروشاتة .

محاولة فاشلة :

وقد عاد بعض المماليك الفارين من الطاعون عندما خفت وطأته

(١) الراقدان ص ٢٥٣ .

(٢) الكولان ص ٣٨ ولونكريك .

وانخفض الماء ومعههم بعض اعوان داود باشا لكي ينجدوا داود باشا
ويعزموا علي رضا باشا من دخول بغداد . ثم تحصنوا بالمدينة وبعثوا
الى الدولة عارضين عليها عشرة آلاف جنيه نظير بقاء داود في
الحكم بل اوصلوا المبلغ الى عشرين الفاً تدفع مرة واحدة وزادوا
الجزية التي تدفع من بغداد الى الدولة من الف كيس الى عشرة آلاف
كيس وتحملها جميع مصاريف الحملة (١) .

ولم يكن علي رضا يريد ان يزيد في خراب المدينة التي لم يبق فيها
الا قليل من العمران لانها ستكون عاصمة ملكه لذلك بقي خارج
الاسوار . فأخذ البغداديون يدافعون دفاع الابطال عن بغداد
حتى انهم جندوا (٥٠٠) جندي لقتال هذا الجيش اللجب الذي
جاء به علي رضا وكانت المدافع تحصدهم حصداً ثم ارسل السلطان
رسالة الى علي رضا يأمر فيها بأحسن التدبير فكانت الرسالة سبباً
في فتح باب المفاوضة ودخول بغداد سالماً (٢) .

اما داود فدخل الضباط عليه بتواضع واحترام واخذوه معهم الى

(١) الكولن ص ٤٤ وما بعدها .

(٢) الكولن ص ٤٧ - ٤٩ .

خارج المدينة حيث نصبت خيمته فنهض علي باشا من مكانه عندما كان الركب بعيداً ثم قابل داود وهو اسير حقير بالاحترام الذي لم يقابل بمثله مملوك من قبل ولو كان في اوج ابهته وعظمته ثم ارسل الى الاستانة ومعه توصية من علي رضا باشا كانت سبباً في العفو عنه . ولما قابله السلطان ولده البوسنة الى أن جاء السلطان عبد المجيد فولاه الحرم النبوي وتوفي في المدينة (١) .

المماليك الباقون :

دعا علي رضا المماليك دعوة عامة فلبوا نداءه ولما اجتمعوا عنده دبر مكيده لهم إذ خرج الجلادون عليهم واخضبوا بدمائهم أقدامهم ولم يبق منهم باقية (٢) الا من فر وبذلك انقرضت دولة المماليك التي حكمت حوالي القرن في العراق وقضى عليهم بنفس الطريقة التي قضى بها محمد علي باشا على المماليك في مصر وأصبحت ولاية العراق تابعة مباشرة الى الاستانة فانتصرت الاستانة على اعدائها واقوامها بأسا واشدهم مراساً .

(١) مجموعة تراجم العلماء .

(٢) الكولن ص ٥٠ .

وثيقتان عن حياة داود باشا

وقد سمعت ان رسائل نشرت لداود باشا باللغة الجورجية فاتصلت بالاخ الزميل الدكتور حسين محفوظ الذي قضى وقتاً في روسيا واعطاني مشكوراً عنوان المستشرق الاستاذ جيورجي تسيرتيلي Giorgi Tsereteli مدرس اللغة العربية في جامعة تفليس وعضو المجمع العلمي بجورجيا والعضو المراسل للمجمع العلمي بالاتحاد السوفياتي .
فارسل لي كراسة تحتوي على مقالة لأحد تلاميذه فيها صورتان لورقتين من هذه الرسائل وفي الكراسة شرح باللغة الجورجية .
وقد ارسلت باصل الكراسة لترجمتها ولكن لم تصل الترجمة وقد امدني الاستاذ تسيرتيلي بقسم من نصوص هذه الرسائل رأيت نشرها تيسيراً للباحثين وكليلاً احجز هاتين الصورتين وما فيها من معلومات عندي .

والملاحظ ان داود باشا كان يعمل على كتابته بطرس (بيطره) لانه لم يكن يجيد كتابة الجورجية وقد ارسل الرسائل الى امه (مريم) في مدينة تفليس سنة ١٨٢١ م إذ خطف قبل ان يتمكن من تعلم القراءة والكتابة ولهذا يقول (سمعنا ما كتبت) .

وقد اراد داود باشا ان يشعر امه بمكانته واخبرها بانه ملك
لبابل، وذكر بابل لانها، كما يبدو، اشهر من بغداد في ذهن والدته..
وقد تضمنت الوثيقتان معلومات ثبت في اصل داود باشا وانه من
اسرة العبيد التي كانت تخدم اسرة نبيلة من المكرج .
وقد نجح داود باشا في مسعاه في تحرير اسرته من رق العبودية
ولم يقدر ان يرفعها الى طبقة الاشراف ..

ولهايتين الوثيقتين اهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ داود باشا الشخصي،
وكل ما ارجوه ان استطيع العثور على غيرهما من الوثائق
والرسائل . ففي الرسائل جانب غامض من حياة الرجل وارجو ان
اضم هذه المعلومات الى (تاريخ العراق في القرن التاسع عشر)
واخيراً اشكر المستشرق تسير تيلي على مساعدته القيمة . إذ قام
بالترجمة الحرفية للوثيقتين وارسلهما إلي وقد اجريت عليها
تصليحات اقتضاها الذوق العربي .

1871

John Smith

My dear Sir

I have the honor to acknowledge the receipt of your letter of the 10th inst. in relation to the matter of the purchase of the land for the purpose of building a new school house for the use of the children of the colored community of this city. I am very glad to hear that you are so interested in the welfare of the colored people and that you are so anxious to see that they have a proper place of education. I am sure that the Board of Education will be very glad to consider the matter and to do all in their power to give effect to your suggestions. I am, Sir, very respectfully,
Your obedient servant,
John Smith

ترجمة رسالة داود باشا الى أمه :

ملك بابل السعيدة ابنك (١) داود باشا ، يهديك وافر التحيات والامل ثم الامل في مشاهدتك يا أمي مريم .
اما بعد فقد تسلمت رسائلك جميعها التي كتبتها الي والمرسلات عن طريق ارض روم او على يد رجل من بيت زوبالا شويلي (٢) وسمعنا كلما كتبت والآن اكتب رسالة الى الوالي (٣) ليجعلكم من طبقة أرناتور (٤) وارسلت يوسف (٥) بالرسائل ، فاصحبوه عند

- (١) يخاطب داود باشا أمه احياناً بصفة الجمع تكريماً لها واحياناً بصفة المفرد .
(٢) كان اخوان زوبالا شويلي (Zubalashvili) اي ولد زوبالا) من تجار السكرج الكبار وكان اندريا زوبالا شويلي (Andria Zubalashvili) المذكور في القسم الاخير من الرسالة قد ولد في سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٤٧ . وكان كثير السفر بين جورجيا وبنغداد ، وعند وصوله بغداد كان يزور داود باشا وبوساطته كان يتعرف على اخبار أسرته .
(٣) الوالي المذكور - هو والي القفقاس الجنرال يرمولوف (Yermoloff) وقد ولد سنة ١٧٧٢ ، وتوفي في سنة ١٨٦١ .
(٤) أوزناتور كلمة جورجية ، معناها (نبيل) ، (شريف) او (من طبقة النبلاء والاشراف) .
(٥) يوسف آغا هو بيطره (Petre) المذكور في الرسائل باسم بيطره يوسف شويلي (Petre Iosepashvili) كان كاتباً لداود باشا وكان جورجياً اصلاً ، ولد في جورجيا في مدينة آخال تسخينه (Akhal tsikhe) (هو آخستيسخني حسب الوثائق التاريخية التركية) وقد ساعد داود باشا بالرسائل في حربه ضد سعيد بن سليمان الكبير وكان داود باشا يرسل بيطره الى المقيم الانكليزي (١) (J. R. Claudius)

(1) J. R. Claudius. Narrative of a Residence in Kurdi-
-stan, and in the Site of Ancient Nineveh, London, 1836,
vol. I, p. 49 .

تسليمه الرسائل لوالي القفقاس . وقولوا له كل ما تريدون .
أكتب الآن الى اندرياز وبلا شويلي بهذا الصدد ليساعدكم .
ارجو ألا تهمل رغبتي في مشاهدتك ، فتعالي الى هنا « بغداد » لاني
أريد ان أراك ولا تفكري من جهة اخرى بشيء ، أقيمي حيشما
شئت وسوف أعيدك الى الوطن بالاكرام العظيم متى شئت .
واما بعد فأهدي اخي شيو (Shio) واولاده واخوتي تحيات
كثيرة ، ثم أهدي أخواتي تحيات كثيرة ، وأرجو ان انال
الدعوات من قلبك الرحيم . الانسان يأتي الى الدنيا ويفرس
الكرم لينال ثمره ، فأنتم غرستم الكرم ولم تنالوا ثمره ، وانا اطالب
من أمومتك الرحيمة ان تقدرى على زيارتي فلا تهملها ، وصلي من
أجلي يا أني الرحيمة .

ابنك ملك بغداد داود باشا

في ٢ من شهر آب سنة ١٨٢١

ترجمة (من اللغة الكرجية) ملاحظة داود باشا على نسخة وثيقة
تحرير عائلته التي أرسلت له من نفليس الى بغداد .

« قد وصات إلي نسخة وثيقة التحرير المصدقة بالمحكمة وانا
وافقت عليها ، ولمدم معرفتي الكتابة (باللغة الجورجية) أملت
كاتبني يطره ليكتب كلماتي . »

ملاحظات الاستاذ تسيرتيلي على هذه الوثائق التاريخية وعلى ترجمة
حياة داود باشا .

ولد داود باشا كما يظهر من الوثائق في جورجيا في نواحي مدينة
نفليس من عائلة فقيرة وكان اسم أبيه جيورجي مانويلا شوييلي
(Giorgi Manvelashvili) اولاً . وبعدئذ تغيرت كنيته وصار
يدعى جيورجي بوجولا شوييلي (Giorgi Botsholashvili) واسم
ام داود باشا مريم (Mariam) . وكانوا عبيد نبلاء الكرج الكبير
أربيلاني (Orbeliani) وكان اسم داود باشا في صغر سنه دوايت
(Davit اي داود باللغة الجورجية) ، وبعدما خطفه اللصوص من
جورجية ثم أخذوه الى تركيا ثم الى بغداد يبيع في (سوق النخاسة)

وقد اشتراه مصطفى بك واهداه الى سليمان باشا الكبير واصبح
 بعدئذ ، كما معروف ، والياً على بغداد ولكنه لم ينس وطنه أبداً
 وكان يبدي اهتماماً كبيراً بأخبار وطنه وخصوصاً عائلته ، وقد
 حصل من اندرياز وبلا شويلى على عنوان عائلته في جورجيا وابتدأ
 المكاتبة معها من ذلك الوقت ، وكان قد مات ابوه في ذلك الوقت
 وبقيت أمه مع ولديها الاكبر شيو المذكور اعلاه والا صغر
 ديميتري (Dimitri) وعندما علمت مريم والدة داود باشا وعائلته
 ان داود باشا قد وصل في العراق مكاناً مرموقاً اخذوا يطلبون منه
 ان يساعدهم في تحريرهم من رق النبلاء اوريليانى فأجابهم داود باشا
 بالموافقة وقد ارسل الرسائل الى حكومة تفليس يطالب منها
 المساعدة في تحرير عائلته ونال مراده ، وفي الكراسية التي ابعثها الى
 سيادتكم صور بعض وثائق تحرير منويلا شويلى - بجويلا شويلى
 يعني عائلة داود باشا من عبودية النبلاء أوريليانى ، كما طلب
 داود باشا من أمه ومن أخويه ان يحضروا الى بغداد لزيارته وكما
 يبدو من ملاحظة كاتب (١) الوالى يرمولوف لأن أمه أبت ان

(١) وكان كاتبه في ذلك الوقت الشاعر الروسي المشهور أ. س. كريبودوف

(A , S , Griboyedoff)

تسافر الى بغداد ، ولكن سافرا اليه اخواه ورجع اخوه الاكبر
شيو الى وطنه واما الاصغر ديمطري ، فقد بقي في العراق فاسلم
وسمي بأحمد وقد نصبه داود باشا قائداً للقوات المسلحة وبمد مدة
قصيرة جملة متسلماً (متصرفاً) في البصرة ، فقد حاول داود باشا
بمد تحرير عائلته ان يجمل أزنأور يعني ان يرفعها الى طبقة
النبل والاشراف فنكتب الى والي قفقاس الجنرال يرمولوف
بهذا الصدد وبمث اليه كاتبه يوسف آغا كما يبدو من الرسالة
التي ترجمتها اعلاه ويخبر أمه بذلك ويطلب منها ايضاً ان تحضر
(الى بغداد) ، فيظهر من الوثائق انه خاب امله هذا ولم تنل عائلته
طبقة أزنأور ولم تسافر أمه .

هذا موجز ما تشتمل هذه الوثائق .

من المراجع

أ - المخطوطات

- ١ - مطالع السمود عثمان بن سند
- ٢ - تاريخ المالك (الكولمن) سليمان فائق تعريب نجيب الارمنازي
- ٣ - مجموعة تراجم العلماء محمود شكري الآلوسي
- ٤ - عنوان المجد ابراهيم فصيح الحيدري
- ٥ - غاية المرام ياسين العمري
- ٦ - حديقة الورود عبد الفتاح الشواف
- ٧ - نيل المراد عباس السيد جواد البغدادي
- ٨ - العراق في القرن التاسع عشر يوسف عز الدين

ب - المطبوعات

- ٩ - أربعة قرون من تاريخ العراق لونكر لندن ١٩٢٥
- ١٠ - بغداد كوله من حكومتك تشكيلنه دائر رسالة «ثابت» ١٢٩٢
- ١١ - تاريخ مساجد بغداد محمود شكري الآلوسي وتهذيب محمد بهجة الاثري بغداد ١٣٤٦ هـ
- ١٢ - الترياق الفاروقي (ديوان شعر) عبد الباقي العمري
- ١٣ - تذكرة الشعراء عبد القادر الخطيبي الشهر اباني بغداد ١٩٣٦

- ١٤ - خلاصة تاريخ العراق انستاس الكرملي البصرة ١٩١٩
- ١٥ - دائرة المعارف الاسلامية (باللغة الانكليزية) مقال للدكتور
عبدالعزیز الدوري عن «بغداد»
- ١٦ - دائرة المعارف الاسلامية (باللغة التركية) استانبول ١٩٥٠
- ١٧ - الرفادان تأليف لوید وترجمة طه باقر وبشير فرئيس بغداد
- ١٨ - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر يوسف عز الدين بغداد ١٩٥٨
- ١٩ - الشعر العراقي الحديث يوسف عز الدين بغداد ١٩٦٠
- ٢٠ - العراق - دراسة في تطوره السياسي آيرلند
- ٢١ - العراق بين احتلالين المزاي
- ٢٢ - غرائب الاثر ياسين العمري، نشره الدكتور محمد صديق
الجليلي ، الموصل ١٩٤٠
- ٢٣ - غرائب الاغتراب ابو الشفاء الالوسي بغداد ١٣٢٧ هـ
- ٢٤ - لغة العرب (مجلة) انستاس الكرملي
- ٢٥ - مباحث عراقية يعقوب سرکيس ج ١ و ٢
- ٢٦ - مختصر مطالع السعود حسن الحلواني مصر ١٣٧١ هـ
- ٢٧ - المسك الادفر محمود شكري الالوسي بغداد ١٩٣٠

1901
1902
1903
1904
1905
1906
1907
1908
1909
1910
1911
1912
1913
1914
1915
1916
1917
1918
1919
1920
1921
1922
1923
1924
1925
1926
1927
1928
1929
1930
1931
1932
1933
1934
1935
1936
1937
1938
1939
1940
1941
1942
1943
1944
1945
1946
1947
1948
1949
1950
1951
1952
1953
1954
1955
1956
1957
1958
1959
1960
1961
1962
1963
1964
1965
1966
1967
1968
1969
1970
1971
1972
1973
1974
1975
1976
1977
1978
1979
1980
1981
1982
1983
1984
1985
1986
1987
1988
1989
1990
1991
1992
1993
1994
1995
1996
1997
1998
1999
2000
2001
2002
2003
2004
2005
2006
2007
2008
2009
2010
2011
2012
2013
2014
2015
2016
2017
2018
2019
2020
2021
2022
2023
2024
2025
2026
2027
2028
2029
2030
2031
2032
2033
2034
2035
2036
2037
2038
2039
2040
2041
2042
2043
2044
2045
2046
2047
2048
2049
2050
2051
2052
2053
2054
2055
2056
2057
2058
2059
2060
2061
2062
2063
2064
2065
2066
2067
2068
2069
2070
2071
2072
2073
2074
2075
2076
2077
2078
2079
2080
2081
2082
2083
2084
2085
2086
2087
2088
2089
2090
2091
2092
2093
2094
2095
2096
2097
2098
2099
2100

الكشاف . .

في أسماء الأعلام والأماكن والمصطلحات الحكومية

وقد أعاده مشكوراً الاستاذ عبد الجبار داود البصري

أ —	ارض روم ٥٩
الآلوسي ٥٤٠٠٣٠٤٢٠٩٠٦	الارمنازي ٥٣
الأتراك ٧	الأزبك (جامع) ٤٢٠٣٩
الاتحاد السوفياتي ٥٣	ازناور (طبقة) ٦٣٠٥٩
الأثري : محمد بهجة ٥٣ .	الأستاذ : (مجلة) ٣
أحمد ٤٠	اندرياز وبالا شويلي ٦٢٠٦٠٠٥٩
أحمد باشا ٨	الانكليزي (المقيم) ٥٩
الأحمدية (مدرسة) ٤١	استانبول : ٥٤٠١٤
آخال تسيخه ٥٩	الأستاذة : ٤٣٠٣١٠١٦٠١٠٠٥٥
الأخبار (جريدة) ١٤	٥٢٠٤٧
الآداب (مجلة) ٣	أسعد : (الأمير) ٨
اريليان ٦١	اسلامبول : ٦

الأعظمية (مدرسة) ٤١

أفنديس : ديوان ١٩

أمانة العاصمة : ٢٠

الامام الاعظم : ٣٩

أورفه : ١٠

اوربيلاني ٦٢

أورخان (السلطان) ٢١

إيران : ٤٤

— ب —

باب السيف (مسجد) ٤١، ٣٩

بابل ٥٩، ٥٤

باب الشيخ (محلة) : ٣٣

باب المعظم : ٣٨

باقر : طه : ٥٤

بحويلاشويلي ٦٢

البحر الأبيض : ١٠

بحر سفيد : ١٠

البرزنجي : محمد : ٤٢، ٤٠

البصرة : ٦٣، ٣٢، ٢١، ١٤، ١٣، ٦

البصري : علي ٤، ٢

بطرس ٥٣

بغداد : ٦١، ١٠، ٨، ٧، ٦، ٥

٣٠، ٢٤، ٢١، ١٧، ١٦

٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١

٤٩، ٤٦، ٤٥، ٣٨، ٣٧

٦١، ٦٠، ٥٤، ٥١، ٥٠

٦٣، ٦٢

البغدادى : عباس السيد جواد :

٥٣

البلباص : عشيرة ١٢

البلدية : ٢٠

بيلربكي : ٣٢

البندنيچ (بلدة) ١٠

البوسنة : ٥٢

البعضاوي : ٤٠

بيطره (بطرس) : ٥٩ ، ٥٣

٦١ ، ٦٠

— ت —

تايلور : المقيم البريطاني ٣٧

التركية : الدولة (اللغة) ٤٤ ،

٦١ ، ٥٩

تفليس ٦٢ ، ٦١ ، ٥٣

التوتونجي : عبدالله ٢٧

— ج —

الجاندرمة : ٢٠

الجزيرة : ٦

الجليلي : محمد صديق ٥٤

جل الليل : زين الدين ٤٠

جميله (آل) ٣٥

جورجيا ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦١

الجيورجية (اللغة) ٥٣ ، ٥٩ ، ٦١

الجيش الايراني ٤٥

جيورجي تسرتيلي ٥٣ ، ٥٤

جيورجي مانويلاشويلي ٦١

— ح —

حالت أفندي ١١ ، ٣١

حسن باشا ١٠

الحسين (الامام) ٤٤

حسين محفوظ (الدكتور) : ٥٣

حسين بن محمد ٤٠

حلب ٤٨

الحله ٤٥

الحلواني ٥٤

همود بن ثامر ٣٣

الدفتردار ٢٧، ١٦، ١٥

الدليم ٣٥

اندهقان ١٥

دوايت (داود باشا) ٦١

الدوري : عبدالعزيز ٥٤

ديار بكر ١٠

ديغو القائد الفرنسي ٣٧

ديميطري ٦٣، ٦٢

ديوان افنديس ١٩

— ر —

رأس الجسر (مسجد) ٤١

الرافدان ٣٠

الرشيد ٤٢

الروزباني : عبدالرحمن ٤٢

روسيا ٥٣، ٤٤، ٤٢

الحيدر خانة ٣٨

الحيدري : ابراهيم فصيح ٥٣

الحيدري : أسعد افندي ٤٠

الحيدري : صبغة الله ٣٩

— خ —

الخالص ٤٥، ٣٥

خان داود ٣٩

خراسان ٤٥، ٣٥

الخزاعل ١٢

الخزانة ١٧

الخزندار ١٧

(ابن) خلدون ١٩

— د —

داود باشا : ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٣

٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩

دجلة ٤٩

— ز —

(بني) زوبع (قبيله) ١٥

زوبالا شويلي

— س —

السادة (جامع) ٣٩

ساقز ١٠

السراي ٥٠

سر كدس يمحوب ١٠ ، ١١ ، ١٤ ،

٥٤

سر كيوس ١٠

سعيد بن سليمان (الوالي) ٢٧ ،

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ،

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٩

السلطان : ٥ ، ١٣

سليمان : ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ،

١٧ ، ٢٤ ، ٢٦

سليمان (باشا) ٦٢

سليمان آغا ٧

السلجانية (مدرسة) ٤١

سوريا ١٦

السويدي : محمد سعيد ٤٢

— ش —

شمر جربا (عشائر) ٥٥

الشهر باني (الخطيب) ١١ ، ٥٤

الشواف : عبد الفتاح ٥٣

شيرو ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣

— ص —

صادق افندي ٤٦ ، ٤٧

الصدر الاعظم ٧

صقلية ١٠

— ط —

الطاعون (مرض) ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠

— ع —

العادلية (مدرسة) ٤٠

العباسيين ٣٢

عبدالله باشا ١٣

عبد المجيد ٥٢

عبدى باشا ١٣

عثمان بن سند ٥٣، ٤٤، ٤٢، ١٠

العثمانية (الامبراطورية) ٦، ٥

٤٢، ٣٧، ١٢

المعجم ١٣ : ٤٥، ٤٠

العراق ٤، ٥، ٦، ٢٣، ٣١، ٤٠

٥٢، ٤٦، ٤٤، ٤٢

العراقيين ٢١

الغزاوي ٢٢

غفك ٣٦

علي بن أبي طالب ٤٤

علي باشا (مدرسة) ٤١

علي رضا باشا ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١

٥٢

عمر بن الخطاب ١٩

العمرى : عبد الباقي ٥٣

العمرى : ياسين ٨، ٥٣، ٥٤

عيسى (آل) ٣٥

— غ —

غاية المرام ١٢

غرائب الاغتراب ٦

— ف —

الفرس ١٤، ٤٤، ٤٥، ٤٦

فرمان ٥، ١٤، ٣١، ٣٢، ٤٥

٤٦

فرنسيس : بشير ٥٤

- ق -

القاضي ١٦، ١٧

القزاز : مهدي ٢

القفاص ٥٩، ٦٠، ٦٣

القهرمان : ١٥

- ك -

كاتب الديوان ١١

كاتم السر ٤٠

كربلاء ٤٤

الكتبخدا ١٥، ٢٧، ٣٥، ٣٦

الكرج ٢٣، ٥٤

الكرجية (اللغة) ٦١

الكرخ ٤١

كر كوك ١٠، ٣١

الكرمي : أنس ٦، ٢٤، ٥٤

كر منشاہ ٤٤

كریم خان ١٣

كریو یادوفف (شاعر روسي) ٦٢

الكنيسة ٢٤

الكنية ١٥

كولن (انظر المالك)

الكوليرا (مرض) ٤٥، ٤٦، ٤٧

- ل -

لطف الله افندي ٤٠

لونكريك ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٢،

٥٣، ٤٥

لويد ٥٤

- م -

المتسلم ١٠

المجمع العالمي (بجورجيا) ٥٣

محمد (ص) ٢٤

محمد علي باشا ٤٤، ٣٧، ٣٩، ٥٢

محمود الثاني ٤٦٤٤٣٤٢١

مريم: ٦٢٤٦١٤٥٩٤٥٣

مصر ٣٩

المصرف ١٨

المصرف ١٨

مصطفى باشا ١٤٤١٣

مصطفى بك ٦٢

المكتوبجي ١٨

المكتوبي ١٨

الماليك ٣٣٤٢٥٤٢٤٤٢٣٤٣

٥٢٤٥٠

المنتفك ٥٠٤٣٢

منويلا شويلي ٦٢

الموصل ٢١٤٨

الموصلي: محمد امين ٤٠

المولى خانه (جامع) ٣٨

- ن -

النائب: محمد ٤٠

ناظر النظار ١٥

النبوي (الحرم) ٥٢

النقشبندي: خالد ٣٨

- ه -

الهند ٣٧

الهيضة (مرض) راجع مادة

الكوليرا.

- و -

الوزير الاعظم: ٧

الوهايون: ٤٤

- ي -

يرمولوف (جينرال) ٦٣٤٦٢٤٥٩

اليكنجيرية (الينجيرية) ٤٦٤٤٣٤٢١

يوسف باشا ٧

يوسف (اغا) ٦٣٤٥٩

١٠٠٠ ...
 ١٠٠١ ...
 ١٠٠٢ ...
 ١٠٠٣ ...
 ١٠٠٤ ...
 ١٠٠٥ ...
 ١٠٠٦ ...
 ١٠٠٧ ...
 ١٠٠٨ ...
 ١٠٠٩ ...
 ١٠١٠ ...
 ١٠١١ ...
 ١٠١٢ ...
 ١٠١٣ ...
 ١٠١٤ ...
 ١٠١٥ ...
 ١٠١٦ ...
 ١٠١٧ ...
 ١٠١٨ ...
 ١٠١٩ ...
 ١٠٢٠ ...

١٠٢١ ...
 ١٠٢٢ ...
 ١٠٢٣ ...
 ١٠٢٤ ...
 ١٠٢٥ ...
 ١٠٢٦ ...
 ١٠٢٧ ...
 ١٠٢٨ ...
 ١٠٢٩ ...
 ١٠٣٠ ...

من آثار المؤلف

- ١ - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر - الطبعة الاولى ١٩٥٨ بغداد
الطبعة الثانية ١٩٦٥ القاهرة
- ٢ - الشعر العراقي الحديث الطبعة الاولى ١٩٦٠ بغداد
الطبعة الثانية ١٩٦٥ القاهرة
- ٣ - الشعر العراقي الاجتماعي (بالانكليزية) ١٩٦٢ بغداد
- ٤ - مخطوطة شعر الاخرس (تحقيق) ١٩٦٣ بغداد
- ٥ - التيارات الادبية (مقالتان) ١٩٦٢ بغداد
- ٦ - خيرى الهنداوي - حياته وشعره ١٩٦٥ القاهرة
- ٧ - داود باشا ونهاية المماليك في العراق ١٩٦٧ بغداد
- ٨ - في ضمير الزمن (شعر) ١٩٥٠ مصر
- ٩ - الحزان » ١٩٥٣ مصر
- ١٠ - لهاث الحياة » ١٩٦٠ بيروت

معد للطبع

- ١ - في الادب العربي الحديث مقالات وبحوث
- ٢ - التيارات الفكرية والأدب الحديث
- ٣ - العراق في القرن التاسع عشر

It is really a worthy contribution to the study of the history of Iraq during its dark ages .

Those who admired his talents as a poet, revealed through his various works, especially his " Iraqi poetry in the Nineteenth Century " and his " Social poetry in Iraq " - will now, no doubt, admire him as a talented historian who relates the facts in a romantic style that leaves a very deep impression on the reader.

In our present time , perhaps , we badly need the historian Izzeddin much more than the poet Izzeddin .

The Arab Nation in its struggle for life against her various enemies, who do their best to keep her backward , by concealing from the Arabs their glorious history , and by trying to make them forget their past, or at least to look on it with contempt and shame , hence our great need for an historian like Dr. Youssef Izzeddin to help us in our bitter struggle against those enemies by rewriting our history with his eloquent and sound style .

If Dr. Izzeddin really thinks of the great benefit of our Arab Nation - and I am sure that he does - then he has to pay much more attention to our Arab history , but he must not neglect writing poetry because , now and then , our spirits are hungry for his musical and emotional poems .

Dr. Youssif Izzidien

By Saleem Taha Tikrity

The Period in Which the Mamluks reigned in Iraq during 1760 - 1831 A. D. may be considered as one of the important periods in the history of this country during the Dark Ages which took place just after the fall of Baghdad in the hands of the Mongols in 1258 A. D.

Dawud Pasha was the last but the greatest of all those Mamluks. Dr. Izzedien endowed us recently with a very interesting history of this personality.

In fact we know Dr. Izziddin as a well known poet and as a great writer, but we do not know him as an historian. In his monograph on Dawud Pasha he proved to be really a very good historian. We still do not know how the history of Iraq in recent centuries attracted his attention and obliged him to pay a great deal of his care to study this period of the Mamluks and to go through the very rare manuscripts and extracts, the bare facts that reveal the Iraqi life of that period. In its different aspects perhaps, one day he will explain to us this point.

There is no doubt that Dr. Izzeddin, in this Monograph, has succeeded to a great extent in giving us a clear idea and a vivid picture of the time of Dawud Pasha and the decline of the Mamluks. His talent as a poet and writer which we all know, was neglected in this historical book which can be considered not only as historical data that includes facts, but also as a romantic story expressing the different human emotions.

ATLAS CUYAO

THE FIRST PART OF THE HISTORY

OF THE CUYAO

OF THE CUYAO

OF THE CUYAO

DAWUD PASHA

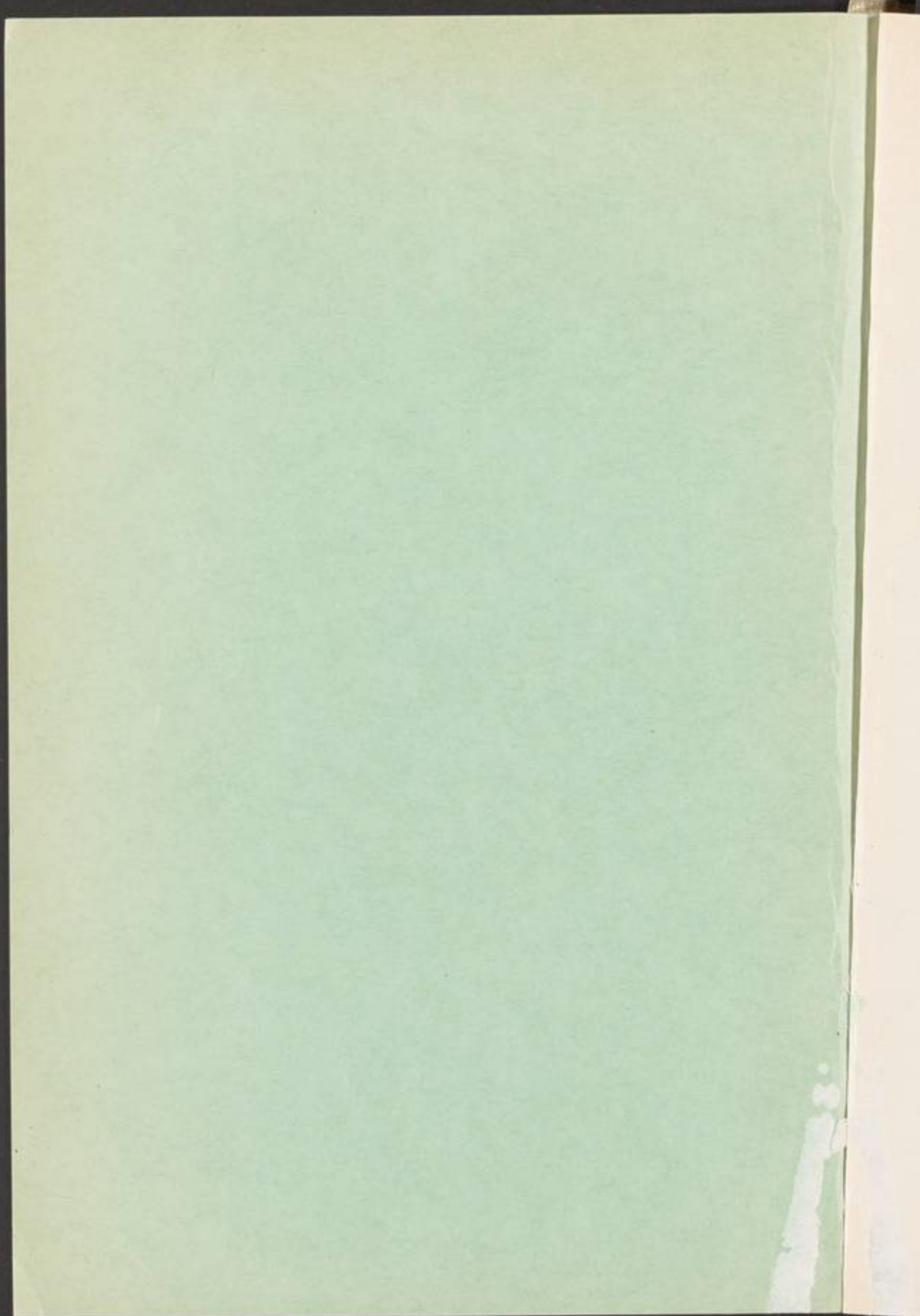
AND THE DECLINE OF THE MAMLUK DYNASTY IN IRAQ

By

Dr. Yousif Izzidien

Pref. of Modern Arabic literatur

Al-Basri's Publication House
Baghdad 1967



DA
AND T

[illegible]

Demco 38-297

Al-Basri's Publication House
Baghdad 1967

DAWUD PASHA

AND THE DECLINE OF THE MAMLUK DYNASTY IN IRAQ

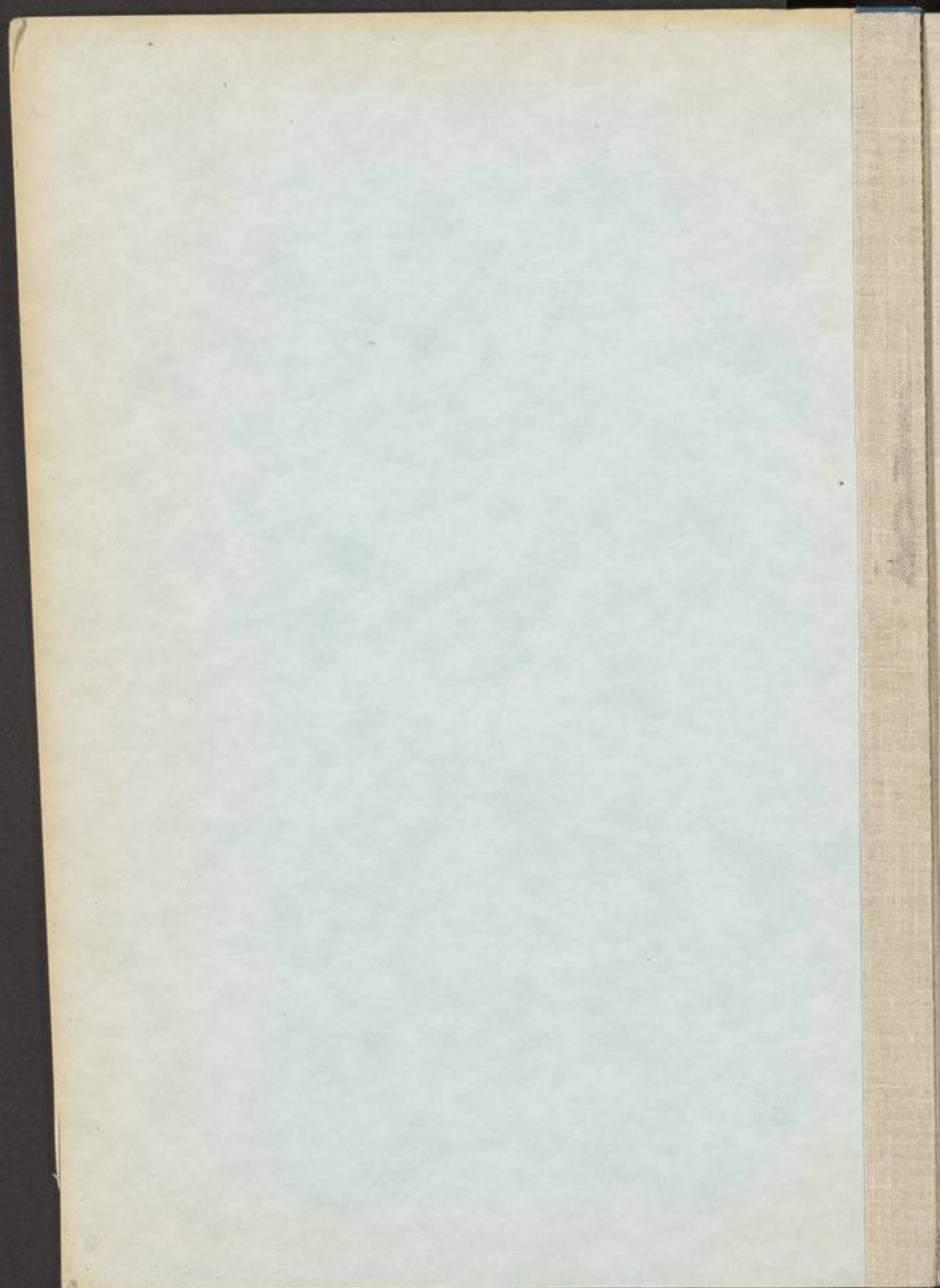
By

Dr. Yousif Izzidien

Pref. of Modern Arabic literature

Al-Basri's Publication House
Baghdad 1967

N. Y. U. LIBRARY



NYU - BOBST



31142 02467 0062

DS97.6.D3 I9

Dawud Bash